العمامة والثقافة

دفاع الإسلام وهجوم العلمانية

أ.د. حلمي محمد القاعود



بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : العمامة والثقافة

المؤلف : أ.د. حلمي محمد القاعود

رقم الإيداع : ٢٢٥٥ / ٢٠١١

الطبعة الأولى ٢٠١١



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

استهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

فقد شهدت الفترة الماضية (على مدى نصف قرن تقريباً)؛ صراعاً عنيفاً بين التصور الإسلامى والثقافة الغربية فى جانبها السلبى، فمذ خرج الإنجليز الحمر، وغادروا مصر فى منتصف الخمسينيات تقريباً، والأمور فى مصر والبلاد العربية، بل البلاد الإسلامية تجرى فى سياق عملية «تغريب» شاملة، بدأت على استحياء تتناول قضايا «التطور والتجديد والتقدم»، وشيئاً فشيئاً وصلت إلى الهجوم الشرس والجامح ضد الإسلام، وضد هوية مصر الإسلامية، بل وصل الأمر إلى شىء من الجراءة والتحدّى يدعو إلى تحرير مصر من الإسلام، وإعادتها إلى أصحابها الأصليين(؟)، وإلغاء اللغة العربية، واستئصال الدين الإسلامى فى التعليم والإعلام والثقافة.

قام «الإنجليز السمر» – بعض أبنائنا- بدور الإنجليز الحمر فى الهجوم على الإسلام والتشكيك فيه وتشويهه، وساعدتهم ظروف شتى، أتاحت لهم الهيمنة على التعليم والإعلام والثقافة والصحافة والاقتصاد، وجعلتهم يشيعون أفكارهم التخريبية تحت مسمى «العلمانية».

ومن المفارقات أن القوم جعلوا العمامة رمزاً للإسلام والمسلمين، والثقافة صنواً للإلحاد والعلمانيين، وأقاموا معركة

بدون مسوغات بين الطرفين، وزعموا أن الإسلام ضد الثقافة، وأن المسلمين ليسوا مثقفين من خلال مفهوم غالط يربط بين الثقافة وغير المسلمين، ويجعل الإسلام عدوًّا للمعرفة والعقل والفكر! والغريب أنهم على تعدد ألوانهم (شيوعيون، وماسون، وليبراليون، وزنادقة، وعلمانيون..) يشكون مما يسمى «التكفير»، ويتهمون الطرف الإسلامى بتكفيرهم، وسلبهم نعمة الانتماء إلى الإسلام، ويلحون فى مقولاتهم وكتاباتهم أنهم «مسلمون»، ولكن على طريقتهم التى دفعت بعضهم إلى حد القول: إن الإسلام دين وضعى اخترعه عبد المطلب جد النبى ﷺ ليحقق السيادة على قريش وأهل مكة!

إن سطور هذا الكتاب تشتبك مع الأحداث الجارية، وتكشف من خلالها طبيعة الصراع بين الإسلام والعلمانية، وقد تعود هذه السطور إلى الماضى أو التاريخ لتضىء بعض المواقف التى تفخر بها الأمة الإسلامية وتعتز. وفى كل الأحوال، فإن محنة الوطن ترجع فى جانب مهم منها؛ إلى دور النخبة العلمانية التى آثرت مساندة الاستبداد، وأيدت مصادرة الحرية، لصالح استئصال الإسلام بوصفه العدو الأول والرئيسى للتقدم والازدهار!

ولا ريب أن الصراع الذى يقوده من يطلق عليهم «مثقفو الحظيرة»، الموالون للاستبداد والقهر، ضد الإسلام وثقافته وقيمه، سيمتد إلى آماد غير معروفة، طالما كان الدعم الخارجى القادم من المؤسسة الاستعمارية الصليبية مستمرًّا وفعالاً، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وفى كل الأحوال، فإن واجب أبناء الأمة، الحريصين على إسلامهم ومستقبلهم أن يكشفوا طبيعة الصراع، وأبعاده، وملامحه، خاصة وأن الطرف العلمانى يجيد لعبة «الأكاذيب»، والتعبير عن أفكاره على نطاق كبير، وهو ما لا يتوفر إلا بصورة

محدودة للطرف الإسلامى الذى يمثل الغالبية العظمى.

إن المثقف الاستئصالى سيد الموقف بلا ريب، لأنه حاضر فى كل الظروف والأحوال، أما المثقف الأصيل فهو محجوب، ومغيب، ومطارد، ولكنه موجود، ويتحرك فى حدود إمكاناته المتاحة. وهو ما يوجب استغلال الوسائل الجديدة مثل الشبكة الضوئية (النت) دفاعاً عن الإسلام، والرد على الشبهات، وكشف ألاعيب المزورين..

وأسأل الله التوفيق والهداية، وهو المستعان.

حلمى محمد القاعود

العمامة ... والثقافة !

يظل الاستبداد والقمع من السمات الفارقة فى مسيرة العلمانيين العرب، وخاصة أهل اليسار، فقد مارسوا الاستبداد والقمع من خلال المؤسسات السياسية والثقافية والاقتصادية بل منظمات حقوق الإنسان! وللأسف فقد صبوا استبدادهم وقمعهم على الإسلام والمؤمنين به نظاماً للحياة وطريقاً للآخرة.. وأدبيات القوم تكاد تكون محصورة فى محورين أساسيين أولهما، مهاجمة الإسلام وتشويهه وتحقيره ونعته بأحط الصفات، والآخر تكريس النموذج الغربى فى صورته الهامشية الفجة من خلال الفنون المبتذلة والسلوكيات المنحلة. أما الصورة الجادة المنتجة المنظمة، فقلما ترد فى أدبياتهم.

وقد أثار العلمانيون (اليساريون خاصة) فى السنوات الأخيرة ضجيجاً حول رفض الإسلام للفن ومعاداته كما يزعمون، رأوا أن تخلف الفن فى بلادنا مرجعه إلى الإسلام أو التطرف كما يسمونه. وربطوا ذلك بالرقابة على المصنفات الفنية ودور الأزهر الشريف فى تقييد حركة الفنون وامتداد ذلك إلى التلفزيون وغيره من وسائط الاتصال التى كانت مرتعًا- فى مفهومهم- للمتطرفين الذين يضغطون على الدولة كى تسترضيهم وتعلن عن تطرفها أيضاً بعد أن تزايد عددهم!

وكما نرى، فإن القوم يحاولون التدليس على الأمة، ويخلطون كثيراً من الأمور، وإن كانوا فى النهاية يصلون إلى رفض الإسلام رفضاً صريحاً أو مقنعاً، ويجاهرون بالدعوة إلى النموذج الغربى الهامشى!

لا ريب أن الإسلام يمثل حجر عثرة فى طريق دعاة التبعية والتماهى مع الآخر (الغربى الصليبى) وتابعه (اليهودى)،ولعل ما يعانيه المسلمون على مدى أجيال فى العصر الحديث كان بسبب هؤلاء، فالآخر بعد أن خرج بقواته الغازية من أرض الإسلام كان قد أسس لهؤلاء الدعاة طريقهم، وزوّدهم بالدعم (المعنوى على الأقل)، ليسيروا أقوياء ظافرين، ويريحوه من العمل المباشر ضد القوى الحقيقية لمقاومته وردعه ومنعه من الهيمنة السياسية والثقافية والاقتصادية.. بيد أنه كلما ظن دعاة التبعية أنهم حققوا نجاحاً بدحر المقاومة الإسلامية للمشروع الغربى الصهيونى، تأتى الرياح بما لا يشتهون، ومع سقوط الأكاذيب فى عام ١٩٦٧ عادت الأمة إلى دينها وتراثها، وتحدت العوائق الشيطانية التى وضعها المستبدون القمعيون، وظهرت الصحوة الإسلامية (يسميها دعاة التبعية بداية التطرف)، وكان أداؤها الرائع فى حرب رمضان مثالاً عظيماً لتطبيق العلم والإيمان.

وقضية الفن التى يركز عليها هؤلاء الدعاة تبدو قضية ملتبسة، وهم صانعو هذا الالتباس بلا ريب، إذ ربطوا بين الابتذال والانحلال والتسطيح والتزييف من ناحية، وبين الفنون من جانب آخر، وما كان الفن الحقيقى ابتذالاً أو انحلالاً أو تسطيحاً أو تزييفاً، إن الفن الحقيقى شفافية وتطهير ومتعة ورقى، والفن الحقيقى انطلاق بالروح إلى آفاق السمو النفسى والوجدانى والفكرى، وليس تسافلاً وانحطاطاً وتغييباً للوعى، كما نرى فى السينما والمسرح والأدب والرسم والتلفزيون- أقصد النماذج السائدة التى يروج لها دعاة التبعية بحكم هيمنتهم على وسائط التعبير والاتصال التى تملكها الدولة من دور عرض ومسارح ومنابر نشر وأجهزة دعاية وغيرها..

أعجبتنى عبارة جميلة للمجاهد الكبير «على عزت بيجوفينش» رئيس البوسنة

الراحل فى كتاب شهير له، يقول فيها: «إن الفن هو الوجه الآخر للدين»، فهل يمكن أن نسمى ما يقدمه دعاة التبعية فى مجمله فنًّا يعد بحق وجهاً آخر للدين؟ كلا.. إن بعض ما يقدمونه يستحق أن يجعلهم يقفون أمام محكمة أمن الدولة العليا بتهمة الخيانة العظمى، لأنه يصب فى خانة إضعاف الأمة وتغييب وعيها وتضييع هويتها وتهيئتها لقبول الذل والهوان والعمل فى خدمة الآخر الصليبى وتابعه الصهيونى!

مشكلة دعاة التبعية أن تدليسهم لا ينطلى على أحد، يقولون مثلاً: إن توبة الفنانات جاءت بسبب قول البعض: إن الفن حرام، وحين تناقشهم فى أن توبة الفنانات كانت بسبب الجرائم التى ترتكب فى حقهن وحق الوطن باسم الفن، يقولون: إن من يقولون: إن الفن حرام يكفروننا أو يرفعون سلاح التفكير.. وتسألهم من الذى قال: إن الفن حرام ومن الذى أفتى بالتكفير؟ فلا تجد إجابة أبداً.

ثم يصيحون مولولين لأن رئيسة سابقة للتلفزيون طلبت من المذيعات أن يحتشمن وألا يظهرن بأذرع عارية أو صدور مفتوحة أو جيبات قصيرة أو مكياج صارخ أو إكسسوارات غالية أو تسريحات مبالغ فيها.. ويتهمن هذه الرئيسة بل الدولة بالخضوع للتطرف أى الإسلام، وللمتطرفين أى الإسلاميين، والواقع أن المذيعات فى التلفزيونات الغربية المحترمة لا يفعلن ما تفعله مذيعاتنا الفاضلات، فالمذيعة لها وظيفة واحدة هى جذب المشاهد إلى الفكر أو الموضوع الذى يجرى بثه، وشحذ وعيه ليفهم ويرقى، وليس جذبه لشكلها أو لونها أو تسريحتها، لأن ذلك ليس من خصائص الإعلام الحقيقى، بل من خصائص الدعاية الرخيصة التى تهدف إلى التغييب والتسطيح وتسييد التفاهة، ليعيش الاستبداد آمناً، ويمرح القمع فى حرية.

مثلاً، فى قناة «الجزيرة» مذيعات يقرأن نشرة الأخبار، ويناقشن المحللين السياسيين وغيرهم، وأدنى مقارنة بينهن فى الشكل والموضوع مع مذيعاتنا ستؤكد أن دعاة التبعية خاسرون!

المشكلة الأخرى أن حملة دعاة التبعية تلتبس ببعض التطرف الطائفى المتعصب الذى يرى أن حل أزماتنا يكمن فى تنحية الإسلام جملة وتفصيلاً، وإحلال النموذج الغربى الهامشى بانحطاطه وانحلاله، فيتحقق فى فنوننا التعبير الجنسى العارى الصريح والرقص بكل أشكاله وألوانه، وكأن كل قضايانا تنحصر فى الجنس والرقص.. وليست هناك أزمات فى الاقتصاد والزراعة والصناعة والتعليم والثقافة والإدارة و... ليت القوم ينظرون إلى ما يفعله اليهود من أجل أهدافهم من خلال الفنون المصورة والمكتوبة، ويقارنون بيننا وبينهم!

وتبقى العمامة رمزاً للإسلام فى دفاعه عن الهوية ومقاومته للاستباحة والهيمنة، ولو كره دعاة التبعية بكل فصائلهم وتياراتهم، والله غالب على أمره.

■ ■ ■

الشيوعيون .... والإسلام

يكاد الشيوعيون العرب، وفى مقدمتهم الشيوعيون المصريون، يختزلون النظرية الماركسية فى شيء واحد فقط؛ هو الهجوم على الإسلام واستئصاله بأساليب خسيسة لا تمت إلى الواقع ولا الحقيقة بسبب. وبعد أن سقط الاتحاد السوفييتى فى أوائل التسعينيات، وانهارت النظرية الماركسية، وأثبتت فشلها الذريع وإخفاقها الداوى؛ لم يجد الشيوعيون فى بلادنا العربية عملاً، وطاردتهم البطالة، وانقطع عنهم المدد السوفييتى، ففكروا جيداً كيف يواجهون الوضع الجديد كى تكون لهم «وظيفة» ويكون لهم «عمل»، فوجدوا أن أفضل وسيلة تقضى على بطالتهم هى التقرب من السلطات المستبدة وخدمتها وتأييدها، والتعبير عن إرادتها وجبروتها، وهكذا اندفعوا من خلال ما سمى «الحرب على الإرهاب» ليكونوا خدماً مخلصين للاستبداد المحلى والاستعمار الصليبى/ الصهيونى!

الوظيفة الجديدة للشيوعيين العرب، بما فيهم المصريون، هى التشهير بالإسلام، واتهامه بالإرهاب والتطرف والجمود والرجعية.. وقد نجح الشيوعيون فى الهيمنة على التعليم والإعلام والثقافة، وراحوا ينفذون الإرادة الصليبية الصهيونية، فضلاً عن الإرادة الاستبدادية، بتبشيع صورة الإسلام، وتكفير المسلمين... فيصفون الإسلام بالإظلام، ويصفون المسلمين بالمتأسلمين، مع حملة شرسة وضارية ضد مظاهر التعبير عن العقيدة والشريعة بدءاً من الحجاب حتى بناء المساجد، وتفريغ التعليم والإعلام والثقافة من كل مظهر إسلامى حقيقى، مع الإلحاح على ربط

الإسلام بالدم والعنف والتخلف!

لقد سبق الشيوعيون العرب أميركا فى حملتها الإجرامية ضد الإسلام وقيمه ومفاهيمه. وبعد الحادى عشر من سبتمبر وأحداثه الدامية فى نيويورك وواشنطن، تأمرك الشيوعيون العرب تماماً، صاروا صوت أميركا فى المنطقة، والناطقين باسمها حتى لو لم يعلنوا ذلك. لم تعد تشغلهم قضايا العمال والفلاحين والكادحين. ولا يعنيهم أمر «الإمبريالية» وتجلياتها الإجرامية ضد الشعوب الضعيفة. صار الذى يعنيهم هو الحصول على أكبر كمية من «خبز السلطة» و«طعام السلطة» و«امتيازات السلطة»، وقد تطوعوا (غير مشكورين) بتسويغ احتلال أفغانستان والعراق ومحاولة إقناع الناس أن الهمجية الصليبية أكثر أماناً وسلاماً وديمقراطية للشعب الأفغانى البائس، والشعب العراقى التعيس، وأن النازية اليهودية تحارب «الإرهاب» الفلسطينى الذى يقوم به (الانتحاريون) لا الاستشهاديون الفلسطينيون، وأن قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وهدم البيوت وتجريف الأرض وإقامة الحائط العنصرى فى فلسطين؛ هو دفاع عن النفس يقوم به اليهود الغزاة! الشيوعيون المتأمركون لا يعنيهم اليوم إلا أنفسهم، ويجدون فى أنفسهم الجرأة على الإعلان عن مواقفهم الانتهازية دون أدنى خجل أو حياء، مثلما يجدون فى أنفسهم الجرأة على الله والإسلام، والنبى ﷺ ثم يزعمون بعدئذ أنهم تقدميون ومستنيرون ومستقبليون، وغيرهم _ أى المسلمين- رجعيون وظلاميون وماضويون؟!

إن جرأة الشيوعيين المتأمركين على الإسلام وصلت حدًّا غير مقبول من التبجح والوقاحة، نقرأ مثلاً عنواناً فى جريدة حكومية يقودها شيوعى متأمرك يقول: «الأذان ليس من شعائر الإسلام..!!» فهل عرف هذا الشيوعى المتأمرك أنه بجرأته بالكذب على الناس والإسلام والقول: إن الأذان ليس من شعائر الإسلام، يقدم

نموذجاً رخيصاً لخدمة الاستبداد والاستعمار؟ ثم نقرأ عنوانا آخر فى جريدة حكومية أيضاً يقودها شيوعى سابق، متأمرك حالى، يقول : «القرضاوى على رأس القائمة: ٣٠٠٠ مثقف عربى يطالبون بمحاكمة دولية لشيوخ المحرضين على العنف» ويقول ما تحت العنوان :«تنوى مجموعة من المثقفين العرب المطالبة رسميًّا بتقديم مجموعة من الشيوخ المسلمين المعروفين بفتاواهم التى تحرض على العنف إلى محكمة دولية بتهمة «تشجيع الإرهاب» حسبما صرح (...) المتحدث باسم المجموعة المقيم فى الولايات المتحدة».

وتذكر الجريدة أن من بين المطلوب محاكمتهم بجانب القرضاوى، على الخضير وسفر الحوالى، والسبب أن فتاويهم تلعب دوراً أساسيًّا فى تحرير سادية الإرهابى وغريزة الموت لديه من جميع الضوابط الأخلاقية وتجفف ما تبقى لديه من ضمير أخلاقى ومن شعوره بالذنب. كما أنهم يحرضون على قتل المفكرين العلمانيين!.

الأمثلة على هذه النماذج الشاذة كثيرة، فالشيوعيون المتأمركون لا يعنيهم أن النازية اليهودية تبيد الفلسطينيين فى قطاع غزة والضفة الغربية، ولا يعنيهم أن الهمجية الصليبية تبيد العراقيين فى الفلوجة والرمادى والعمارة والموصل، ولكن الذى يعنيهم هو محاكمة المشايخ الذين يدعون إلى المقاومة وإلى مجاهدة المعتدين الغزاة، كى تعيش الأمة حرة عزيزة... الحرية أو العزة عملة صدئة فى مفهوم الشيوعيين المتأمركين، والاستسلام للغزاة الصليبيين هو طوق النجاة بمفهومهم، وتسليم المقدسات لليهود النازيين هو السلوك الطيب المتحضر وفقاً لتصورات الشيوعيين المتأمركين..إن مواقفهم موالية للغزاة الصليبيين والصهاينة على طول الخط، وهذه المواقف لا تكتفى بالكتابات أو البيانات المحدودة التوزيع، ولكنها صريحة معلنة على رءوس الأشهاد من خلال الفضائيات والإذاعات، ويعرفها

الناس على نطاق واسع!

إنها مواقف خيانية بكل المقاييس الوطنية والقومية والإسلامية، وإذا كان أصحابها الشيوعيون المتأمركون يظنون أن زمانهم الأميركى سيحميهم وسيحقق لهم المزيد من المنافع والفوائد على المستوى الشخصى، فهم واهمون، وكاذبون وإن صدقوا. نعم سيحصلون على منافع وفوائد إلى حين، ولكنهم لن يفلتوا من قبضة التاريخ والشعوب.. وحساب التاريخ والشعوب فى كل الأحوال عسير وقاس وعادل!

■ ■ ■

لا توجد عمامة واحدة في مؤتمر الإصلاح!

أعلم مدى كره الرئيس « جورج بوش» للعمائم الإسلامية، وقد عبر عن ذلك صراحة حين قال فى (فبراير ٢٠٠٤م)، «إننا ما قضينا على نظام «صدام» لنأتى بحكم العمائم». فالعمائم رمز الإسلام، والإسلام مكروه من قائد الصليبية الدولية الاستعمارية، لذا فتحديث الدول العربية والإسلامية ينبغى أن يكون وفقاً للديمقراطية الأمريكية التى تلغى الإسلام عمليًّا، أو تجعله مجرد هامش من الهوامش التى لا قيمة لها فى إصلاح الأحوال وتغيير العباد وتحرير البلاد.

ولعل المجتمعين فى مكتبة الإسكندرية (الفترة ١٢-١٤ مارس ٢٠٠٤م) كانت فى مخيلتهم مقولة الرئيس «جورج بوش» فآثروا إقصاء الإسلام بطريقة مباشرة عن مؤتمرهم الذى حمل عنوان «قضايا الإصلاح العربى: الرؤية والتنفيذ».. حتى لا يجلبوا على أنفسهم تهماً من قبيل التطرف والإرهاب والظلامية والأصولية وكراهية الآخر (من هو الآخر؟)!

من بين واحد وخمسين ومائة مشارك فى المؤتمر، لم يحضر واحد يمثل الحركة الإسلامية أو الأزهر الشريف أو رابطة العالم الإسلامى، ومع ذلك فقد زعم المنظمون أن المشاركين يمثلون منظمات المجتمع المدنى والشخصيات المستقلة من مختلف التيارات السياسية والفكرية والمثقفين والصحفيين،وينتمون إلى ثمانى عشرة دولة عربية (الأهرام ١٥/ ٣/ ٢٠٠٤). ومن بين ٦٤ (أربع وستين توصية) أوصى بها المؤتمر، لا توجد توصية تشير إلى ترسيخ الثقافة الإسلامية أو ترى الإسلام

مقوماً من مقومات نهضة الأمة وإصلاحها، بل إن بعض التوصيات- كما سنرى إن شاء الله- أخذ موقفاً معادياً من الدين الإسلامى...

إن الذين حضروا المؤتمر هم رجال السلطة أو الذين ترضى عنهم السلطة، لأنهم يمثلون إرادتها ومشيئتها، لذا فإن الحوار استبعد التيار الشعبى العريض، وهو التيار الإسلامى، كما أقر بمبدأ الإصلاح خطوة خطوة، وهو ما تعلنه السلطة صباح مساء، كما أن المؤتمر افتقد القدرة على تنفيذ توصياته لأنه لا يمثل قوة شعبية ضاغطة ترغم السلطة على التنفيذ.

الذين حضروا المؤتمر، بينهم وبين الذين حضروا مؤتمر وزارة الثقافة المصرية المنعقد فى أول يوليو ٢٠٠٣م؛ أوجه شبه عديدة، وكثير منهم كانوا نجوماً فى المؤتمرين فلا جديد هناك إلا خفوت اللهجة الضارية ضد الإسلام والمسلمين.

ومن المفارقات أن رئيس المؤتمر، وهو مدير مكتبة الإسكندرية استنكف أن يبدأ كلمته فى الافتتاح باسم الله، بينما افتتح الرئيس المصرى كلمته بالبسملة كاملة؟ يأتى هذا فى الوقت الذى نشرت فيه الصحف أن الإدارة الأميركية طلبت من المسئولين العرب على كافة المستويات ألا يستخدموا البسملة فى بدء خطبهم وكلماتهم حتى لا يوصموا بالتطرف والإرهاب!

فى ديباجة البيان الختامى يولى المؤتمر أهمية لإدانة الإرهاب بكل أشكاله، ومواجهة النواتج الخطيرة لأنواع التعصب الدينى، وتجسيد قيم التسامح، فى الوقت الذى أغفل فيه البيان حق الشعوب العربية فى مقاومة الاستعمار الصليبى والاستعمار الصهيونى؛ مما يوحى أن المقصود بالإرهاب هو «المقاومة» الباسلة فى فلسطين والعراق وأفغانستان، وهى وجهة نظر خارجية معادية، أضف إلى ذلك أن الحديث عن التعصب الدينى هو اتهام موجه بالدرجة الأولى إلى الإسلام

والمسلمين، وإلا كان عليه أن يشير إلى التعصب النازى اليهودى فى فلسطين المحتلة، والتعصب الصليبى الاستعمارى الذى يجتاح أوروبا وأميركا، لأنه أى البيان يتكلم عن الإصلاح فى العالم العربى، وليس فى عالم آخر!

إن البيان يردد هذه النغمة، فى موضع آخر هو الإصلاح الاجتماعى فيدعو إلى تغيير نمط العلاقات الأسرية مثل الخضوع والطاعة، كما يدعو إلى التسامح والقبول بالآخر، وهذا كلام ملتبس، لأن منطق الأسرة فى الإسلام يختلف عن منطق الأسرة فى التصور الغربى، كما أن العرب والمسلمين هم الذين يعانون من رفض الآخر لهم ونبذهم واحتقارهم وإذلالهم على النحو الذى يعرفه الكافة. فلماذا إذاً ادعاء ما ليس حقيقيًا؟

بيد أن البيان يأخذ خطوات أكثر عداء للإسلام فيما يسمى الإصلاح الثقافى حيث يدعو إلى القضاء على ما يسمى «منابع التطرف الدينى التى لا تزال رواسبها موجودة فى المناهج الدراسية وخطب المساجد ووسائل الإعلام الرسمى وغير الرسمى» ولأن البيان لم يوضح المقصود بالتطرف الدينى، فإنه يفهم من السياق أن المقصود هو التخلص من كل الآثار التى تجعل الإسلام فاعلاً فى الحياة والمجتمع، وتحويله إلى مجرد «ديكور» أو شكليات لا تظهر إلا عند الزواج أو الوفاة، وإلا فهو تطرف وإرهاب كما يقول البيان الذى صاغه مثقف سلطة تناسى حقيقة انتمائه. كما يقول البيان عطفاً على ما سبق بضرورة تشجيع الاستمرار فى تجويد الخطاب الدينى سعياً إلى تجسيد الطابع الحضارى التنويرى للدين بما يقتضيه ذلك من إطلاق الحريات الفكرية، وفتح أبواب الاجتهاد على مصراعيها فى قضايا المجتمع للعلماء والباحثين. وهذا تخليط شنيع، لأنه يستخدم مصطلحات غائمة وملتبسة، وبعضها معاد للدين أساساً مثل «التنوير».. ثم من الذى أقفل باب الاجتهاد ليفتحه؟ ومن

هم العلماء والباحثون الذين سيفتح لهم باب الاجتهاد ؟

إن دعوة البيان إلى إلغاء كافة أشكال الرقابة على النشاط الفكرى ورفض وصاية أى جهة أو فئة باسم الدين أو التقاليد أو الخصوصية أو السياسة، يصب فى مجال التخليط الشنيع أيضاً، لأن الدين الإسلامى يختلف عن التقاليد أو الخصوصية أو السياسة، والذين يدعون إلى إقصاء الدين الإسلامى عن مواجهة الانحراف الفكرى، بل العمالة الفكرية للغرب الصليبى الاستعمارى، إنما يسعون إلى هدف آخر غير الإصلاح الثقافى، فحين يأتى كاتب ليصف القرآن الكريم مثلاً أنه نص (مجرد نص)، ويصفه بالتاريخى، أى ابن زمانه دون بقية الأزمنة، ويطلب منا باسم حرية الفكر أو رفض الوصاية ألا نراجعه أو نصحح له أخطاءه وخطاياه، فهذا هو الإفساد بعينه، بل الإرهاب بشحمه ولحمه، لأنه يتناقض مع ما يقال عن حرية الفكر أساساً.

لا شك أن هذا المؤتمر الذى سمحت به السلطة، ليشارك فيه رجالها والمَرْضِىُّ عنهم فى أرجاء الوطن العربى؛ يمثل صورة من صور النفاق السياسى الذى يقصد به تملق قوى الشر الاستعمارية المهيمنة، ولا يقصد به الإصلاح الحقيقى، مع ما ورد فيه من مطالب جميلة عن تغيير الدساتير والفصل بين السلطات وتداول السلطة وإلغاء الطوارئ والمحاكم الاستثنائية، لسبب بسيط جدًّا وهو إقصاء الإسلام ومن يمثلونه!!

■ ■ ■

الثقافة المصرية والهيمنة اليسارية ؟!

بعد سقوط الشيوعية فى موسكو قبل أكثر من عشر سنوات، وتقلص الحزب الشيوعى السوفياتى إلى مجرد حزب صغير نوعاً ما ضمن بقية الأحزاب فى روسيا، فإن الشيوعية- وخاصة المتأمركة- تنمو بصورة عجيبة فى مصر الإسلامية المعاصرة.. ليس عندى اعتراض أن يكون هناك حزب شيوعى أو يسارى فى مصر، يتلقى دعماً من الدولة، ويعمل فى المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية، ولكنى فى الوقت نفسه أرى أن الأغلبية المصرية يجب أن تتمتع بحرية الاعتقاد والتعبير قولاً وعملاً، ويجب أن تكون ممثلة بنسبة وجودها وحضورها فى الساحة، فى كافة الأنشطة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية على أرض مصر، وخاصة إذا كانت هذه الأنشطة ممولة من جانب دافع الضرائب المصرى الذى لا يؤمن فى الغالب بالشيوعية ولا يحب اليسار، ولا يرضى أن تذهب أمواله إلى فئة اليساريين وحدها فى أى نشاط، وخاصة إذا كان هذا النشاط هو الثقافة التى تتعامل مع عواطفه ووجدانه ورؤاه.

الواقع يقول: إن الثقافة المصرية منذ مجىء الوزير الحالى، وهى مؤممة لحساب اليسار وبعض اللائذين به، فقد وجد الوزير عند تعيينه معارضة قوية من التيارات المختلفة، وعرف الوزير كيف يستقطب اليسار ومن على شاكلته؛ ليقيم بناءً ثقافيًّا يرضى السلطة ويثبت لها أن بقية التيارات الأخرى لا تستحق شرف التعبير عن ثقافة مصر وهمومها وآمالها !! وهكذا صارت جميع مؤسسات وزارة الثقافة فى

قبضة اليساريين ومن على شاكلتهم، وبعد أن كانت الوزارة فى عهد الوزير السابق «د. أحمد هيكل» لجميع المصريين، صارت فى عهد الوزير الحالى لليساريين ومن يلوذ بهم فحسب؛ مع أن المصريين جميعاً هم الذين ينفقون على الوزير والوزارة بأموالهم.. فلم يعد هناك مجال لأحد خارج الدائرة اليسارية كى يكون له حضور فى مجلات وزارة الثقافة أو ندواتها أو مؤتمراتها أو جوائزها أو «تكية» التفرغ، أو النشر أو غير ذلك من أنشطة ثقافية.. أحياناً قد يشركون شخصاً مغايراً أو شخصين، وسط عشرات الأشخاص من اليساريين وأشباههم، ليكون «محللا» وشاهداً على «الديمقراطية» اليسارية وتجلياتها «الديكتاتورية»!

لقد امتدت الهيمنة إلى أبعد من ذلك بالضرورة، فإذا كانت الأغلبية اليسارية تقود وزارة الثقافة، فعلى الجميع أن يتبعوها، وبالفعل سقطت بقية المجلات الثقافية والأدبية التى تصدرها المؤسسات الصحفية فى قبضة اليسار أو اللائذين به، وبالمثل معظم الصفحات الثقافية والأدبية فى الجرائد اليومية والأسبوعية، حيث صار مستحيلاً وفقاً للديمقراطية اليسارية!- أن تنشر كلمة أو مقالاً فى هذه الصفحات، فضلاً عن نشر خبر أدبى أو ثقافى- مجرد خبر ! لأن «الديمقراطية اليسارية» تعنى أن تكون الحرية لليسار وحده وليس لأعداء اليسار!!

زعمت جريدة «القاهرة» التى تصدرها وزارة الثقافة، أنها تقوم بتجربة جديدة، تسعى فيها إلى تنويع مادتها وتلوينها بتيارات متعددة، ولكن هذه التجربة لم تكن حقيقية، فانتقاد نشاط وزارة أخرى مثلاً، يبدو أمراً مثيراً للحساسية، فضلاً عن أن نجوم اليسار فى الوزارة لا يريدون من جريدة الوزير إلا المدائح العصماء والقصائد العبقريات.. ثم إن الجريدة أساساً مهمومة بفكر محرريها الذى لا تستطيع أن تتنصل منه أو تتنكر له أمام ما تعده معركتها الرئيسة مع الفكر الأصولى!

والمعركة الرئيسة لجريدة «القاهرة»، هي معركة «اليسار» الحالي المهيمن، وهي منتهى غايته، يعبر عنها في كتاباته وندواته ومحاضراته وأدبياته بصفة عامة.. وإذا عرفنا أن اليسار الحالي المهيمن، صار أكثر ميلاً إلى الأمركة أو «التأمرك» في أغلبيته الساحقة، فإن معركته مع الإسلام باتت مسألة إستراتيجية ذات أولوية خاصة، حيث تتناغم مع رغبة جهات عديدة في الداخل والخارج، وحين تفتح صحيفة أو مجلة أو كتاباً، أو تستمع إلى محاضرة أو متكلم أو خطيب من أهل اليسار هؤلاء، لا ترى ولا تسمع إلا حديثاً ممجوجا وأسطوانة مشروخة حول الأصولية والظلامية والسلفية والجمود والتحجر وكلها مصطلحات يقصدون بها الحركة الإسلامية، ثم تشويه معالم الإسلام عن طريق الإلحاح على بعض الظواهر الشاذة التي يقوم بها أفراد لا يمثلون الإسلام بقدر ما يمثلون أنفسهم. لذا تراهم يكثرون من تناول ما يسمى الإرهاب ليصموا الإسلام كله، والمسلمين كلهم، بالدموية والوحشية. إنهم يرددون ما يقوله السادة الصليبيون الأميركيون وأتباعهم. وهنا تكمن المفارقة؛ ففي الوقت الذي يطالبنا فيه اليساريون الحكوميون هؤلاء بالتفريق بين الأمريكان المستعمرين والأمريكان غير المستعمرين، ويقولون لنا: إن الغرب ليس قماشه واحدة، فإنهم لا يتعاملون بهذا المنطق مع الإسلام والمسلمين، ويرون أن الإسلام كله شر وتخلف وظلام، وأن المسلمين كلهم - متشددين ومعتدلين ومتحررين- إرهابيون وقتلة ومجرمون!.

في المؤتمر الثقافي الذي انعقد مؤخراً برعاية وزير الثقافة في المجلس الأعلى للثقافة (١-٣/ ٧/ ٢٠٠٣) رأى كثير من المتحدثين أن الإسلام هو العقبة التي تحول بيننا وبين التقدم والرخاء والحرية. وقال بعضهم: إن الإسلام ضد الإبداع، وإن الله قال ما عنده ولم يعد عنده كلام (تعالى الله عما يقول علوًّا كبيراً !)، ودعا كثير

من المتحدثين (وكانت أغلبيتهم الساحقة من الشيوعيين القدامى، والشيوعيين المتأمركين !)، إلى ما يسمى بتحرير النصوص الدينية، وطعنوا فى الآية الكريمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وقالوا: إنها تدعو إلى الاستعلاء، وطالبوا بحذف لفظة «الكفار» من القرآن لأنها عنصرية!، كما طالبوا بعدم الالتزام بفقه المذاهب الأربعة بل طلبوا إلغاء الفقه تماماً وإعادة النظر فى مفاهيم دار الحرب ودار السلام ورفض مناصبة العالم العداء والكراهية... وكأن المسلمين لا هم لهم إلا معاداة العالم وكراهيته !

وبالطبع، فإن أحداً لا ينتظر من السادة الشيوعيين القدامى والمتأمركين غير النضال ضد الإسلام وتشويهه، والولاء للغرب الصليبى الاستعمارى والتماهى معه على حساب كل القيم الوطنية والمفاهيم الخلقية والإنسانية.. ويبقى السؤال: لماذا يهيمن اليساريون على ثقافة مصر العربية الإسلامية، ولحساب من؟

■ ■ ■

لا تطلق النار على معسكرك ؟!

كأن الناس كانت تنتظر هذه المناسبة لتعلن عن مرارتها وقسوة الظلم الذى تستشعره من السلطة ومن مثقفيها- من أهل اليسار المتأمرك- الذين استطابوا نعيمها، واستلذوا أطايبها، واكتفوا بحربهم الضروس ضد الإسلام والمسلمين، فى تحالف مباشر أو غير مباشر، مع الإرادة الصليبية الاستعمارية التى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان النازى اليهودى الغاصب فى فلسطين المحتلة!

ظهرت مقالات عديدة ترحب برفض جائزة الرواية التى خصصها المجلس الأعلى للثقافة من خلال مؤتمر الرواية العربية الذى ينعقد دوريًا فى ظلاله. وفى الوقت ذاته كتب مثقفو السلطة وأعوانها، ينتقدون الرافض، ويدافعون عن الوزارة والوزير ولجنة التحكيم ومجلس الثقافة الأعلى وأمينه العام![1].

وفى الوقت ذاته كانت هناك صحف تسعى إلى الفائز / الرافض تستنطقه وتحاوره وتسأله عما جرى، وعما فعل، وانضمت إلى هذه الصحف قنوات تلفزيونية وإذاعات تتناول الموضوع بشكل وآخر، كان الرافض/ الفائز- أو الفائز/ الرافض، يكرر مضمون بيانه الذى ألقاه فى وجه السلطة الثقافية واللجنة المحكمة التى آثرته على الثلاثة الذين كانوا فى ذروة المرشحين ترجيحاً لنيل الجائزة.

وكشف الفائز/ الرافض أنه فى أعوام بعيدة نسبيًا رفض فى صمت جائزة أخرى

(١) رفض أحد اليساريين الذين منحهم مؤتمر الرواية جائزته، فى مفاجأة غير متوقعة، مما أحدث صدمة شديدة لوزارة الثقافة ورجالها.

تسمى «جائزة نجيب محفوظ»، وتتبنى عملية التحكيم لتحديد الفائزين بها «الجامعة الأميركية» فى القاهرة، وقيمة الجائزة تمنح من عائد الاستثمارات أو الفوائد التى تتحقق لوديعة باسم نجيب محفوظ، تمثل جزءاً من الأموال التى حصل عليها من جائزة «نوبل». وجاء رفض جائزة «نجيب محفوظ» نتيجة لتجاوزات السفير الأميركى فى القاهرة آنئذ ضد رئيس الدولة والقيادة المصرية عموماً. ولم يحقق الرفض يومئذ هدفه، لأن اللجنة المانحة طوت الموضوع سريعاً ومنحتها لرفيق يسارى آخر.. هذه المرة كان لابد من الرفض لأسباب خارجية وداخلية كلها تصب فى حالة من السوء والهوان والاستسلام غير مسبوقة!

رأى مثقفو السلطة أن الفائز/ الرافض ناقض نفسه حين قَبِلَ قبل سنوات جائزة خليجية، ورفض جائزة تمنحها الدولة المصرية، ورتبوا على ذلك سؤالاً: هل من حق الأدباء والكتاب والعلماء أن يرفضوا جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية ؟

بيد أن الفائز/ الرافض، كانت له وجهة نظر، بأن الجائزة الخليجية جائزة فردية، خصصها فرد محب للشعر والأدب، وكون لها لجنة من المتخصصين، فلا مجال لرفضها لأنها لا تمثل دولة بعينها ولا سلطة بذاتها، وقال: إنه منذ ثلاثين عاماً لا يتعامل مع وزارة الثقافة وأجهزتها أو ما يسمى بالمؤسسة. وأشار إلى ذكرياته فى الرفض لهذه المؤسسة، وموقف رفاقه الذين يقودون حزب «توتو» من نشر بياناته وآرائه فى جريدتهم (الأهالى) !

ويبدو أن كلام الفائز/ الرافض أخذ يقلب مواجع كثيرة لدى رفاقه الذين يتعاملون معه برفق وحرص شديدين، كى لا يتمرد عليهم أيضاً، وربما يكشف المستور من علاقات ومناورات مع السلطة قبل أن يصلوا إلى الهيمنة الكاملة والشاملة على مقدرات الثقافة فى البلاد، ويصيروا عوناً للإمبريالية الأميركية التى

كانت – فى زمن السوفيات الغابر – تحظى منهم بمطولات الذم والهجاء والإدانة من أجل عيون الكادحين والشغيلة وأصحاب الجلابيب الزرقاء!

لقد نصحه رفاقه بألا يطلق الرصاص على معسكره !

أى على الفائز/ الرافض ألا يتجاوز الحدود فى تمرده على السلطة الثقافية، والسلطة السياسية معاً، وربما كان وراء ذلك تحذير مبطن إشفاقاً عليه، أو خوفاً على الرفاق أجمعين.

ظهرت نقطتان مهمتان من وراء رفض جائزة الرواية.

النقطة الأولى : تتعلق بعلاقة المثقفين بالسلطة، وهل يترك المثقفون مؤسسات الثقافة تمضى وحدها دون أن يديرها مثقفون؟ والسؤال بهذه الصورة فيه مغالطة كبيرة:

أولا: لأن المثقف ضمير الأمة، وهذا الضمير إذا تحول إلى لسان للسلطة فقد فقد جوهره وطبيعته، وتحول إلى آلة من آلات «صندوق الكذب» الذى لا يكف عن ترويج الأكاذيب التى تخدع الأمة وتغطى على العجز والفساد والقمع.

وثانياً: من قال: إن وزارة الثقافة لابد أن تتحول إلى مؤسسة بيروقراطية تقوم على تحويل المثقفين إلى مجرد موظفين يستمتعون بخيراتها وطيباتها؟ إن الثقافة فى الدول المتحضرة مسئولية المثقفين وليست مسئولية وزير الثقافة. إن مهمة السلطة هى إعانة الجمعيات الأدبية والنوادى الثقافية التى تتشكل بمبادرة ذاتيه من المثقفين الذين ينتمون إلى تيارات مختلفة واتجاهات متعددة. بالإضافة إلى الحفاظ على الآثار القومية والمخطوطات والمجامع العلمية النوعية التى تقوم على رعاية اللغة وآدابها دون تدخل فى شئون الهيئات والمؤسسات القائمة عليها.. ولكن وزارة الثقافة اليوم تقوم بمهمات لتحول المثقفين إلى ألسنة ناطقة باسم السلطة وتوجهاتها، من خلال

نشر الصحف والمجلات والكتب بصورة لا تعبر عن توجه قومى إسلامى بقدر ما تعبر عن توجه يسارى متأمرك ينحاز للإرادة الاستعمارية الصليبية الصهيونية.

إن وزارة الثقافة وهى تعادى الإرادة الإسلامية للأمة وتتحول إلى «تكية» مجانية للرفاق اليساريين يتمرغون فى خيراتها وأموالها السائبة، يجب إلغاؤها، وتخصيص هيئاتها الاقتصادية لتكون شركات مساهمة، وتحويل الهيئات الأخرى إلى مؤسسات مستقلة تتبع وزارة التعليم العالى أو رئاسة الوزراء، وبذا لا يكون هناك مثقف سلطة يتبجح بالنضال والاستنارة ومعارضة الفساد والظلم الاجتماعى!

النقطة الثانية: هى ذلك الادعاء العريض الكاذب بأن قادة العمل الثقافى فى الوزارة يمنحون الحرية لكل التيارات والاتجاهات فى النشر أو الندوات أو المؤتمرات أو التفرغ أو المعارض. هذا كلام غير حقيقى ويكذبه واقع الحال الذى يؤكد أن اليساريين المتأمركين لا يسمحون إلا لرفاقهم واللائذين بهم بالعمل معهم، واليساريون فى مصر عموماً انتهكوا شعار «فولتير» المشهور «أنا على استعداد أن أدفع حياتى ثمناً لحرية رأيك» وشعار الكواكبى عن الحرية الحقيقية. إنهم لا يتسامحون مع التيارات الأخرى وخاصة تيار الأغلبية التى تعبر عن التصور الإسلامى. ومن ثم فإن دفاع اليسار المتأمرك عن السلطة الثقافية وانتقادهم لرافض الجائزة وخوفهم من «إطلاقه النار على معسكره»، يؤكد أن الثقافة الفاسدة فى بلادنا، تحتاج إلى تحرك أصحاب الضمير من المثقفين من أجل إلغاء وزارة الثقافة التى قننت لهذه الثقافة الفاسدة!

■ ■ ■

تحية إلى امرأة مثقفة

فى مصر نساء مثقفات، الواحدة منهن بألف رجل، انتمين إلى هذا الوطن، وثقافته الحقيقية، ودافعن عن قضاياه العامة، وعشن مشكلاته وهمومه، دخل بعضهن السجن، ولم يبعن الوطن، ولم تشغلهن الوجاهة أو البريق فى بلاط السلطة أو الحديث باسمها وبيع الإسلام والمسلمين فى سوق الكلمة الرخيصة والقضايا الهامشية المفتعلة.

فى مصر نساء مثقفات بحق، وليس بالبجاحة وسلاطة اللسان، وإسقاط الحياء، ومحاولة ارتداء قناع الاسترجال فى جلافة وغلظة لا تليق بالإناث.

لن أذكر منهن واحدة، لأن ذكرها يستوجب ذكر الأخريات، ومساحة الموضوع لا تكفى لتسجيل أسمائهن، ولكن سأقف اليوم أمام واحدة، ليس من الاتجاه الذى أنتمى إليه، ولا من التيار الذى أتدفق فى سياقه فقط. أردت أن أقول: إن من يحسن عملاً يخدم الصالح العام يستحق أن نحييه ونشيد به، ولو كان من غير ربعنا أو بلدتنا، تأكيداً على موضوعية «المسلم» وعدالة موقفه من الواقع والناس، ابتغاء رضوان الله سبحانه، لا أحد غيره.

عرف الناس السيدة «سكينة فؤاد» بقصتها «ليلة القبض على فاطمة»؛ التى اشتهرت لملامستها وتراً حساساً لدى عموم الناس، وهى القصة التى تجسمت دراميًّا فى مسلسل إذاعى وآخر تلفزيونى، ثم ظهرت فى فيلم وتنافس أهل الفن فى

تمثيلها وتجسيد معانيها وشخصياتها لتكون تاريخاً أو واقعاً محفوراً فى أذهان الجمهور.

ليست القصة هى ما يعنينى لدى السيدة «سكينة»، ولكن الذى أريد تقديمه لديها، هو إصرارها البطولى على طرح قضية خطيرة وشائكة، واستبسالها فى تناولها مع أنها تعلم بالضريبة التى يمكن أن تدفعها ثمناً لموقفها.. كان يمكنها أن تكتفى بما تفعله مثقفات السلطة وتتحدث عن الختان وتحديد النسل والزواج المبكر وتحريم الطلاق أو منح العصمة للزوجة أو غير ذلك من القضايا الهامشية التى يروج لها العالم الصليبى الاستعمارى لتغريب المرأة المسلمة وتدمير الأسرة ومن ثم تدمير المجتمع وتأهيله للتبعية والذيلية.. ولكن المرأة المثقفة «سكينة فؤاد» ألحت على القضية التى تتعلق بمصير الوطن كله، أعنى رغيف الخبز، وهى القضية التى وصلت إلى درجة الخطورة الكاملة فى الفترة الماضية، وما زالت، وجعلت المصريين يقتتلون فى طوابير المخابز للحصول على بضعة أرغفة، بينما الحكومة تعيش فى واد آخر، حيث تستمتع بالنسيم البارد والماء الأزرق والرمل الناعم على شواطئ الساحل الشمالى، وحين وصل إلى أسماعها – متأخراً – خبر الخبز، وصعوبة الحصول على الرغيف، أمسك المهمومون بالوطن قلوبهم خوف الانهيار ومضاعفاته، فقد تواترت الأنباء عن نضوب الاحتياطى من مخزون القمح، وقيل كلام كثير عن رفض الدول المنتجة للقمح بيع مصر إياه إلا بالدفع نقداً.

وقيل: إن هناك من يفرض شروطاً سياسية قاسية، وقيل: إن أسعار الشحن فى السفن زادت بنسبة مضاعفة، وقيل...وقيل...

كانت المرأة المثقفة «سكينة فؤاد» تخصص مقالتها الأسبوعية فى الأهرام منذ أعوام من أجل القمح، بح صوتها، وهى تخاطب المسئولين والعلماء والقراء من أجل

أن تستقل مصر، وتعيش عزيزة كريمة على نفسها وعلى الآخرين بالاكتفاء الذاتى من القمح. وتجاوب معها كثير من علماء الزراعة والمحاصيل والاقتصاد، ونشرت العديد من الآراء والدراسات التى تقترح الحلول والإجابات عن أزمة القمح أو محنة القمح أو مأساة القمح، ولكن من يعنيهم الأمر عموا وصموا، وتناسوا أن هناك أزمة أو محنة أو مأساة، ولم يتجاوبوا أو يتفاعلوا أو حتى يردوا على ما يقال وينشر حتى كانت قاصمة أواخر الصيف الذى مضى، وقتال الناس أمام المخابز بحثاً عن رغيف، مما جعل القيادة السياسية تتدخل فى نهاية المطاف لتعالج الموقف، ثم تعلن الحكومة مؤخراً للفلاحين عن رفع سعر توريد القمح بنسبة ٣٠٪، وليتها رفعت هذه النسبة فى العام السابق، واستمتعت إلى الأصوات التى قالت: إن القمح سلعة إستراتيجية، وسلاح لابد منه لحماية استقلال البلاد وتأكيد عزتها وسيادتها، ولكنها للأسف لا تتحرك إلا متأخراً للغاية، بعد فوات الأوان!.

المرأة المثقفة «سكينة فؤاد» لم تتوقف عند حدود المحنة المتعلقة برغيف الخبز، ولكنها لم تنس القضايا الأخرى المتعلقة بما يجرى فى فلسطين والعراق العربى والإسلامى، واستطاعت فى إطار الصحيفة الحكومية التى تكتب فيها أن تخالف مثقفات السلطة المتحذلقات المتفرنجات اللاتى تفرغن للترويج للأجندة الصليبية الاستعمارية المتوحشة، ورحن يلبسن عمائم الفتوى ويفسرن الإسلام على هواهن، ويهاجمن الحجاب وتعدد الزوجات والطلاق، ويدعين قضية مزعومة، للمرأة.. وكأن الرجل ليست له قضية، وكأن الوطن ليس له قضايا، وكأن الأمة ليس لها أزمات ومآس! لقد وجدت «المرأة المثقفة»- السيدة سكينة- أن واجبها يفرض عليها أن تسير فى نهر المجتمع، وتشرع قلاعها وأفكارها لمعالجة القضايا الحقيقية، لا القضايا المفتعلة، وأن تكون بنت وطنها ومجتمعها وعصرها. كانت كذلك على مدى

السنوات الماضية، وكانت قبل ذلك فى مجلة «الإذاعة والتلفزيون» التى تسلمت إدارتها، تبحث عن العام والمهم والذى يعنى الناس، قد أختلف معها فى قليل أو كثير، ولكن إلحاحها على القضايا الكبرى يجعلنى أحييها وأقول للناس: إن فى مصر نساء، ونساء يساوين كثيراً من الرجال، الواحدة منهن بألف رجل، وربما أكثر، لأنها تخلص فى كلمتها، وتصدق فى مقولتها، وتؤمن بفكرتها.

أما هؤلاء النسوة اللاتى اخترن طريق التغريب- فى أحط تجلياته- وآثرن مصادمة المجتمع المسلم، والتشهير بمعتقداته وقيمه وأخلاقه، فإن مصيرهن إلى سجل التاريخ الأسود الذى لا يكذب حين يسطر بوضوح ودقة أعمال الذين خانوا أوطانهم وباعوا دينهم لصالح المستعمرين الأشرار!!

[تم منع «سكينة فؤاد» من الكتابة فى «الأهرام»، فلم تتوقف عن الكتابة فى صحف أخرى!].

■ ■ ■

موائد مستديرة وأفكار صغيرة !

صح ما توقعناه، وأسفر مؤتمر الثقافة «من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل» عن كلام وتوصيات لا تساوى ثمن الورق الذى كتبت عليه، لأنه - أى المؤتمر - لم يعبر عن التيارات الرئيسة فى الأمة العربية، واكتفى المجلس الأعلى للثقافة الذى تبناه بدعوة ما يقرب من مائة وسبعين شخصية أغلبهم من التيار الماركسى المنقرض أو التيار الماركسى المتأمرك مع بعض القوميين، ولم يمثل فيه التيار الإسلامى إلا باثنين أحدهما وزير سابق والآخر أستاذ قانون، وبالإضافة إلى ذلك فإن التعليقات والمداخلات والكلمات أهدرت أساس الهوية العربية وهو الإسلام، بل إن بعض المتحدثين رأوه العقبة الكئود فى طريق نهضة الأمة وإبداعها. ثم إن صديقى اللدود «جابر العصفور» أمين المجلس الأعلى للثقافة وراعى شئون المؤتمر تبنى القضية التى يلح عليها كثيراً؛ وهى ما يسمى «بالتطرف والإرهاب» بوصفه خصيصة إسلامية أساسية يجب التصدى لها وقمعها وسحقها.. ففى الخلاص منها وحدها ينهض العالم العربى والإسلامى.

مشكلة المؤتمر أنه عاش فى خلايا «أسطوانة مشروخة»، ولم يتجاوزها إلى الآفاق الحقيقية لصناعة المستقبل، لأنه ببساطة ضم أغلب النخب التى تواطأت على الإنسان العربى، وانحازت إلى «سيد القرية» الذى منحها الشهرة والجاه والمال، فراوغت فى لغتها، وميعت المواقف، ولم تقل الحقيقة، ولم تواجه الباطل بل سوغت الطغيان وتجلياته.. كل كفاحها انحصر فى سحق الإسلام، تارة باسم التقدمية،

وأخرى تحت شعار مواجهة التطرف والإرهاب، ولم تسجل فى مرمى المستبدين والطغاة هدفاً واحداً لصالح الشعوب... ومن اللافت أن هذه النخبة أو النخب التى حضرت مؤتمر القاهرة هى التى تحضر جميع المؤتمرات من أقصى المشرق العربى إلى أقصى المغرب العربى، هى التى تحل ضيفاً فى بيروت ودمشق وبغداد والرياض وصنعاء والخرطوم والقاهرة وطرابلس وتونس والجزائر والرباط، بل هى التى تمثل العرب والمسلمين فى مؤتمرات أوروبا وأميركا.. فعلت ذلك على مدى نصف قرن وما زالت تفعله بأعصاب هادئة... «يمدحون الحكومات حين يحلون ضيوفاً عليها ويهجونها بعد الرحيل»، وكأن هناك اتفاقاً ضمنيًّا بين الطرفين على قبول ذلك، وكل منهما سعيد بالصفقة، وما زال البعض يسعى لإقناعنا بأن هؤلاء المثقفين الذين تيبست أمخاخهم عند مقولات رديئة عفا عليها الزمن يمكن أن تنقلنا إلى آفاق المستقبل؟!

خذ مثلاً المائدة المستديرة التى تناولت موضوع الحرية والإبداع، وتأمل ما قيل فى هذه الندوة، وقد وصل بعضه إلى حد يثير الضحك والرثاء، حين قال أحدهم: أنا لا أومن بمقولة «السيف أصدق أنباء من الكتب» فالكتب أفضل من السيف وأقوى تأثيراً، ولأن صاحبنا «تقدمى» فقد غفروا له زلته الخطيرة التى تنبئ- فى أحسن الأحوال- عن فهم سقيم لبيت الجد حبيب- أقصد أبا تمام- حيث يريد بالكتب هنا كتب المنجمين التى كانت تشير إلى هزيمة «المعتصم» لو خرج إلى عمورية وحارب الروم الذين أساءوا إلى امرأة مسلمة استغاثت بخليفة المسلمين، ولكن الخليفة «المعتصم» رفض كلام كتب المنجمين وحقق «بالسيف» انتصاره التاريخى.. أى إن الجد حبيب لم يقصد المقارنة بين السيف والكتب من حيث هى وسائل معرفة، ولكنه قارن بينها وبين السيف من حيث هى علامة على النصر أو الهزيمة فى ميدان

القتال، ومع ذلك فإن القوم صمتوا، ولم يتكلم رئيس الجلسة الذى يعمل أستاذاً للأدب والنقد، ولم ينبهه إلى هذه «الزلة» كما نبهه إلى أمور أخرى.

أما الشاعر «أدونيس» صاحب الشهرة التى ترفعه إلى مرتبة الأنبياء لدى مثقفى السلطة، فقد أدار أسطوانته التاريخية المشروخة حول الدين- أى الإسلام وحده- وأنه السبب الرئيسى لعدم قدرة العرب على الإبداع، وعلل ذلك بأسباب غالطة وفقاً لعادته المستديمة، فهو ينطلق من أن الإسلام هو الدين الخاتم، ومحمد ﷺ هو آخر الرسل، وأن الله – جل جلاله- قد انتهى من كلامه، ولم يعد لديه ما يقوله (تعالى الله عما يقول علواً كبيراً!) لذا فالعربى المسلم ليس لديه ما يؤرقه أو يثيره أو يدفعه إلى السؤال، ومن ثم إلى الإبداع.

من ناحيتى أقول: إن «أدونيس» له الحرية المطلقة فى معتقده وإيمانه، ولكن الأمة أيضًا لها الحرية المطلقة فى معتقدها وإيمانها، ويبدو أن صورة الدين فى الغرب لطول احتكاكه به، تجعله يرى الإسلام صورة من الكنيسة، مع أنه قارئ جيد وذكى للتراث العربى وللتاريخ الإسلامى. لقد رأى الإسلام ثباتًا وسكوناً وصمتاً، مع أن الإسلام هو ثقافة التمرد على العبودية فى صورها المختلفة، وهو الثورة الدائمة على القبح والظلم والتخلف والعنصرية والاستغلال والقهر، وهو الأمل الدائم للمظلومين والباحثين عن الحق والنور والمعرفة.

مشكلة «أدونيس» لا تقل عن مشكلة «جابر عصفور» المشغول بإرهاب الجماعات الإسلامية، دون أن يفتح الله عليه بكلمة واحدة ضد إرهاب السلطات، ويتكلم كثيراً عن التعصب، والعقول المظلمة ومحاصرتها للإبداع، وهو فى الوقت نفسه يمارس أبشع أنواع الحصار والإقصاء والنفى لمن يختلفون معه فى الرأى- وهم أغلبية الأمة أو يمثلون هذه الأغلبية- فيقصيهم عن الأنشطة الثقافية التى يهيمن

عليها ويقف على رأسها، ويمنحها لمن يشايعونه الفكر والهوى. كانت لقطة معبرة من «محفوظ عبد الرحمن» الذى عرض مشهداً سينمائياً يكثر فيه المثقف العربى من الكلام عن الديمقراطية وحق الآخر، ولكنه يمارس الاستبداد مع سائقه، وفى بيته، ومع أولاده... وكل مولد أو كل مؤتمر والعرب بخير !!

■ ■ ■

المثقف الاستئصالي ؟!

هو نمط غريب وفج، ولكنه شائع.. يزعم كثيراً أنه ديمقراطى ومستنير ومتسامح، ولكنه أبداً مستبد، وانغلاقى، ومتعصب.. إنه مثقف استئصالى، لديه رغبة حميمة وجارفة فى إزاحة ما عداه، وبالطبع يدخل تحت ما عداه من يؤيدونه، ويستفيدون منه- خاصة إذا كان صاحب مركز أو نفوذ أو جاه- ويشاطرونه الاتجاه والهوى!.

المثقف الاستئصالى إفراز للاستبداد السياسى والظلم الاجتماعى والقهر الاستعمارى، ونادراً ما تجد مثل هذا النموذج فى البيئات التى تعرف الحوار وتحترم حق الآخر- أى آخر- فى الرأى المختلف، ووجهة النظر المغايرة، صحيح أنه يمكن أن يتحول إلى «مثقف استئصالى» إذا تعلق الأمر بالآخر خارج الحدود، وبصفة خاصة إذا كان هذا الآخر ينتمى إلى عالم الإسلام ودائرة المسلمين، ولكنه بالنسبة لبنى وطنه المثقفين، فقد ألف أن يسمع أكثر من صوت، ويرى أكثر من صورة، ويعيش مع أكثر من طعم، ويسعى فى كل الأحوال أن يقنع مخالفيه برأيه ووجهة نظره من خلال الحجج المنطقية، والأدلة العقلية والشواهد العملية.

ومشكلتنا فى الشرق الإسلامى أننا لا نعرف لغة الحوار، بقدر ما نعرف لغة الأمر والنهى، فالحوار فى شرقنا التعيس عملة نادرة، ولا وجود لها إلا فى بعض المواقع القليلة التى لا تمثل قاعدة، ومن ثم نشأ ما يعرف بالمثقف «الاستئصالى» الذى يستخدم ما يستطيع من وسائل التشويش أو الإقصاء أو النفى أو الحصار؛ كى

يظل وحده فى الساحة فرداً لا يشاركه أحد إلا من يرددون أفكاره وآراءه...

المفارقة العجيبة أن هذا المثقف الاستئصالى ينتمى عادة إلى الثقافة الغربية التى تمجد الحوار بين أبنائها، وتعتمد عليه فى فهم الظواهر المحلية والعالمية، ولكنه لا يأخذ منها هذا الاعتماد وذاك التمجيد، إنه يأخذ من الثقافة الغربية النظرة الفوقية العنصرية، وازدراء ثقافة بلاده والتنديد بها، وشن الحملات عليها تحت أسماء عديدة، وفى الوقت الذى يبذل فيه جهداً كبيراً ليلم بأشتات الثقافة الغربية، وامتداداتها فى أرجاء العالم حتى أقصاه (جمهوريات الهوز)، فإنه لا يبذل أدنى جهد ليتعرف إلى ثقافة بلاده وما تحويه. إنه يردد عنها ما تحويه الثقافة الغربية، وهو تراث من الكراهية والازدراء.. ولك أن تطالع المجلات والكتب والصحف التى تصدر فى أرجاء الشرق الإسلامى أو قلب الوطن العربى لترى ما يكتبه المثقف الاستئصالى ازدراءً للثقافة العربية الإسلامية واحتقاراً لها، وترديداً لما يقوله الإفرنج القدامى والمعاصرون حول هذه الثقافة وخصائصها.

عندما يطلب منى أن أقدم أمثلة، أقول: إن الأمثلة كثيرة وعديدة، ولكن الفم ملىء بالماء، والنار أيضاً، ولا أود أن أذكر أسماء معينة، فقط أريد أن أشير إلى بعض القضايا التى يلح عليها المثقف الاستئصالى الذى يسمى نفسه أحيانًا بتسميات براقة خادعة تتنافى مع تواضع المثقف وزهادته فى الألقاب والأوصاف والمناصب والجاه -كما يفترض- وهذه التسميات للأسف تقوم بدور التمويه فى تماهيه مع النظرة الغربية واستعلائها الاستعمارى البغيض.

يقف المثقف الاستئصالى من قضية الإسلام والحياة، مثلاً موقفاً غريباً وعجيباً، يمتزج فيه الإحساس بعدم الوعى بطبيعة الإسلام، مع الاستسلام للثقافة الغربية التى تماهى معها، فيرى أن الإسلام إظلام وتخلف ورجعية، وقد يخفف من هذه

النظرة، فيراه محصورًا في دوائر ضيقة، محكومة بتفسيرات قديمة لا تتماشى وطبيعة العصر ومواصفاته، وقد يخفف أيضاً من نظرته، فيمزج بينه وبين النظريات الاجتماعية والسياسية الحديثة التي أنتجها فلاسفة أو باحثون غربيون أو أجانب.

إن أولى أبجديات الإقناع والإفهام أن يكون المثقف على وعى بالإسلام الذى يتحدث عنه، يقرأ القرآن الكريم ويفهمه، وكذا الحديث الشريف، والفقه والسيرة والتاريخ، واللغة نحوًا أو صرفاً، مع التخلى عن الأحكام المسبقة. التى يتم تلقينها عبر وسائط المعرفة والثقافة والفكر - أى يكون محايداً ليكون منصفاً، وللأسف، فإن المثقف الاستئصالى، فى أفضل الأحوال، لا يملك إلا شذرات ناقصة من هنا وهناك، قصاقيص معرفة، لا تشكل وعياً صحيحاً، ولا معرفة كاملة بقضايا الإسلام والحياة، ومن ثم يكون حوار الطرشان هو خلاصة التفاهم مع المثقف الاستئصالى، ويسمع الناس ضجيجاً مزعجاً دون نتائج مثمرة..

قد يقول قائل: إنه اجتهاد، والإسلام حث على الاجتهاد، فلماذا نغلق باب الاجتهاد الذى أغلق طويلاً؟ والإجابة فى غاية البساطة تبدأ أولاً من الإيمان بالاجتهاد، وبوجوده فى الفقه الإسلامى حيث قام عليه علم بذاته اسمه «علم الأصول» وهو علم يعنى - كما لا يفهم المثقف الاستئصالى - النظرة إلى الواقع والمستقبل فى ضوء ثوابت الأمة، باب الاجتهاد لم يغلق أبداً، وبعدئذ فالاجتهاد منوط بالمجتهدين الذين تتحقق فيهم شروط الاجتهاد الذين يسميهم القرآن الكريم والناس بالراسخين فى العلم، ليس الهواة وأصحاب «قصاقيص المعرفة»!

مشكلة المثقف الاستئصالى أنه لا يعيش بروحه وفكره فى أرض الإسلام، ولكنه يعيش فى أرض أخرى وبلاد أخرى، وإن كان فى كل الأحوال يعيش مع النظام المستبد الذى يرفده بالعطاء والهبات والشهرة...

من المؤسف أن «المثقف الاستئصالى» لا يمل الحديث عن «التسامح والتعددية والآخر» فى الوقت الذى يمارس فيه التعصب والفردية والأنانية، ولا يسمح لغيره من المخالفين بالوجود والتعبير عن الذات والمجادلة بالتى هى أحسن! بل إنه يتمادى حين يطلق على «الآخر» أوصافاً تتضمن أحكاماً مسبقة تحمل معانى غير طيبة، تشويهاً لصورة هذا «الآخر»، وحسماً للمعركة معه، فلا يبقى إلا سيادة «المثقف الاستئصالى» وحده، يعزف منفرداً ولو كان بلا جمهور!

■ ■ ■

المثقف الأصيل : محمود محمد شاكر

قبل أسابيع قليلة من رحيله كتبت كلمة عن قراءاته لأسرار البلاغة. كنت أتمنى أن يقرأها فى مرضه، ولكنه باغتنا ورحل شامخاً، كما عاش شامخاً.

وقبل أكثر من ثلاثين عاماً، توطدت صلتى بأبى فهر، مع أنى لم ألتق به قط، ولم أره، فقد تهيبت لقاءه، مع أن بابه كان مفتوحاً، وكان كثير من الزملاء والأصدقاء يذهبون إليه، ويتحدثون معه، ويعرضون عليه مشروعاتهم فى التحقيق والقراءة، كانت علاقتى به من خلال ما يكتبه، قراءة واستيعاباً واستفادة فيما أكتب، وشدنى إليه عنصرٌ نادرٌ فى هذا الزمان، أشار إليه ولده فهر وهو «الإتقان»، وما أدراك ما الإتقان فى عصر السرعة، والفهلوة، و«مشّ حالك»!؟

لقد نذر نفسه ليجود عمله، ويتقنه من مفهوم إسلامى مبدئى، أشار إليه فى خاتمة كتابه عن «القوس العذراء»، وظل ملتزماً بهذا المفهوم حتى باغتنا بالرحيل بعد تسعين عاماً حافلة بالإتقان والإنجاز والجهد والإضافة..

معالم الإتقان كثيرة، ومبثوثة فى ثنايا أعماله وقراءاته، بدءاً من تشكيل الكلمات، واستخدام علامات الترقيم.. حتى تحرير أصعب المسائل العلمية والتاريخية والأدبية والثقافية.. يقضى الوقت ويكتب الصفحات الطوال ليثبت فكرة ارتأى صوابها أو ترجيحها، ولا يعنيه ذلك العرض الزائف والزائل الذى يلجأ إليه أشباه الكتاب والأدباء، من اهتمام بالكم على حساب الكيف، أو مخاطبة وسائل الدعاية قبل مخاطبة العلم والمنهج وشرف المعرفة.

ولعل أوضح مظهر لذلك يتمثل فى كتابه «المتنبى» الذى أثبت فيه، وبطريقته، انتماء المتنبى إلى العلويين.. ولم تكن قضية الانتماء هى قضية الكتاب أو لبه، فالقضية جرَّت قضايا، وفجَّرت مسائل تجاوزت موضوع نسب المتنبى وأصوله، وكانت منطلقاً للإبحار فى عالم الحضارة الإسلامية وهمومها منذ المتنبى حتى عصرنا الحافل بالأحزان والآلام وخاصة فى مجال الثقافة والفكر ومناهج البحث.. وتحول الكتاب الذى كان مجرد عدد خاص من مجلة «المقتطف»، صدر فى أواسط الثلاثينيات بمناسبة الذكرى الألفية للمتنبى إلى كتاب ضخم يتكون من مجلدين كبيرين، أضيف إليهما قبل سنوات كتاب آخر بعنوان «رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا»، فأشعل الكتاب الضخم الحياة الثقافية فى الوطن العربى، وأثار كثيراً من التعليقات والمناقشات.

وكانت قضية الإتقان والتحرى والدقة سبباً رئيساً من أسباب تأليف كتابه الشهير «أباطيل وأسمار»، فقد رأى استهانة عابثة، مقصودة أو غير مقصودة، بتراثنا وأعلامنا، فتحرك قلمه ليصحح ويوضح، ويكشف ويفضح، ولم يبال بالمخاطر، ولم يخف المحاذير، ومع أن لغته كانت حادة، فقد حمد له الناس جرأته، وأصالته، ووعيه، وعمق ثقافته، وسعة إدراكه.. ومع أن هذا الكتاب قد جر عليه من المتاعب والمشاق ما لا يحتمله إلا أولو العزم من الرجال، فقد تقبل الأمور بثقة فى الله، وإصرار على المنهج، ولعل أبياته التى صدر بها رسالة الكتاب، وهى للمعرى، تكشف لنا عمق إيمانه الراسخ بما يعتقد ويكتب:

ويقول دارى من يقول، وأعبدى! ... مه، فالعبيد لربنا والدار!
يا إنس، كم يرد الحياة معاشر ... ويكون من تلف لهم إصدار
أتروم من زمن وفاء مرضياً؟ ... إن الزمان، كأهله غدار
تقفون، والفلك المسخر دائر ... وتقدرون، فتضحك الأقدار!

لا ريب أن العلامة «محمود محمد شاكر»- أبا فهر- قد اختار النمط «الصعب».. بل النمط «المخيف» من الحياة، وهو نمط الجدية والإخلاص، الذى يلقى على صاحبه مسئوليات كبيرة، وأعباء ثقيلة، ارتضاها لنفسه مذ كان شابًّا فتيًّا يدرس العلوم، ولكنه اختار كلية الآداب التى تمرد عليها، وتركها، ليصنع نفسه بنفسه، ويبحث عن اللغة والأدب والتاريخ والثقافة بجهده الخاص، فيقدم لنا صورة أخرى من عصامية «العقاد» و«الرافعى»، ومع تأثره بالأخير، فلم يكن نسخة منه، ولكنه كان عالماً قائماً بذاته، يعيش مع النصوص بصبر وأناة ومثابرة، وهو ما مكنه من قراءة النصوص الصعبة وتقديمها للجمهور فى صورة لائقة.. ولا أظن أحداً من العرب أو المستشرقين قرأ مثلاً دلائل الإعجاز، أو أسرار البلاغة، مثلما قرأهما أبو فهر، فقراءته غنية وثرية وشامخة..

إن «محمود محمد شاكر» من أسرة خدمت الإسلام واللغة والأدب والتاريخ، ويستحق من الأمة «وفاءً مرضياً»- كما يقول شيخ المعرة- ولا أقل أن تعرف الأجيال الجديدة جهد الرجل وحسن بلائه فى سبيل الإتقان والإنجاز. يرحمه الله.

■ ■ ■

إطلاق سراح الإسلام قبل تجديد الفكر الديني !

الحديث عما يسمى تجديد الفكر الدينى له أبعاد غريبة وعجيبة وشائكة، لأن هذا الذى يسمى «الفكر الدينى» يقوم على اجتهادات البشر التى تتناول حركة الإنسان المسلم من خلال المفاهيم الإسلامية، ولأن هذه المفاهيم غائبة أو مغيبة على مستوى الأمة والأقطار الإسلامية فى آن واحد، فإن هذا التجديد الذى نبحث عنه أو يطالب به البعض، يصبح مسألة ثانوية أو غير ذات أهمية أمام ما يقال عن وصول نسبة الأمية الدينية فى بلادنا إلى أكثر من ٧٠٪.. كيف أجدد فى الفكر الدينى والقوم يجهلون أبجديات الدين وأساسياته، وإن كانوا يتعاملون معه من خلال عواطف مشبوبة، ومشاعر مشتعلة ترفض أى مساس به أو عدوان عليه؟

إن إطلاق سراح الإسلام ومفاهيمه الصحيحة، وتعميمها على الناس كى يدركوا أبعادها الحقيقية ومقاصدها الأصلية، مسألة لها الأولوية على قضايا التجديد والتفسير والتأويل. فالذى يجهل المفهوم أو القضية الأساسية لا يستطيع أن ينتقل إلى فروع ثانوية أو قضايا فرعية، ليتناولها ويحللها ويفسرها وفقًا لاجتهادات معينة، لأنه يفتقد الوعى بالأصول أو الثوابت أو الخطوط العامة.

لقد تم حبس الإسلام عن الناس بصورة واعية أو غير واعية فى شتى المجالات والمرافق التى يمكن أن تكون منبعاً هادئاً لصحيح الدين وثوابته، وفى المقدمة من هذه المجالات والمرافق «الأزهر الشريف»، حيث جاء القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ليضعف مستوى الطالب الأزهرى الذى يفترض فيه أن يكون أكثر الناس وعياً

بصحيح الدين وثوابته بعد تخرجه فى المرحلة العالية، ولكن القانون المذكور، جعل الأزهر- الذى يفترض فيه أنه معهد متخصص لدراسة العلوم الإسلامية والآداب العربية- مجرد مدرسة مثل بقية المدارس العامة تدرس كل شيء بالإضافة إلى ملخصات (عن النظام القديم) للشريعة واللغة، فلم يستطع الطلاب استيعاب علوم الدين ولا الدنيا، وبدا الضعف واضحاً فى خريجى الأزهر الذين يقفون على المنابر أو أمام الطلاب أو فى مواجهة الجماهير عبر وسائل الإعلام والإرشاد، وزاد الطين بلة ما صدر من قرارات فى السنوات الأخيرة بتخفيض سنوات الدراسة فى المرحلتين الإعدادية والثانوية بالمعاهد الأزهرية، فضلاً عن التساهل فى حفظ القرآن الكريم الذى هو أساس الدراسة العقدية والشرعية واللغوية والأدبية.

وفى مجال التعليم العام فقد أبعد الإسلام، والمسيحية أيضاً- عن مجال الدراسة عمليًّا، حيث إن الطالب لا يستذكر مادة التربية الدينية- وهى فقيرة تماماً معرفيًّا وفكريًّا- لأنها لا تضاف إلى المجموع، ويستثمرها مدرسو المواد الأخرى ذات المجموع فى تعويض ما فاتهم شرحه من مناهجها.

أما وسائط الإعلام أو المذياع، فلا تتذكر الإسلام غالباً إلا فى شهر رمضان ويوم الجمعة من كل أسبوع، حيث تظهر فى الصحف بعض الصفحات الإنشائية التى تتناول قضايا هامشية أو بعض الفتاوى والتعليقات. أما الإذاعة والتلفزة، فهناك إذاعة للقرآن الكريم، وبعض البرامج الدينية التى تذاع فى أوقات ميتة، وكلها لا تثمر مواطناً يملك شهادة بالوعى الإسلامى الصحيح أو المتكامل، مع ما يبذل فى بعضها- وخاصة إذاعة القرآن الكريم- من جهود طيبة. وفى الدراما يبدو الإسلام منفراً ومزعجاً ومتزمتاً وقريناً للجهل والظلم والصخب والإنشاء والدروشة والبلاهة والفجاجة (تأمل صورة المأذون ومدرس اللغة العربية وقارئ القرآن فى

بعض الأفلام والمسرحيات والمسلسلات)، ثـم أضيف إلى صـورته مؤخراً ملامـح الإرهاب والعنف والدم والقتل !

والإسلام من منظور التيار الثقافى المهيمن على الساحة العربيـة رمـز للتخلـف والرجعية والسلفية والأصـولية (بالمفهوم الغربـى)، لـذا لا يحظى بـأى تعـاطف أو تسامح من النخبة (المستنيرة) التـى تـراه بعيـون (غـير إسـلامية!)، ومـن الغريـب أن هذه النخبة تتجاهل واقع الإسـلام فى أبعـاده المختلفـة، ومـع ذلـك تطالـب بتجديـد الفكر الدينى، وفصل الإسلام عن الدولة (وكأنهما متعانقان بما يغـيظ العـدا، مـع أن الطلاق بينهما قائم منذ وقت طويل = احتلال الإنجليز لمصر!)، وهو كلام فيه خلط وتحريف، ويحتاج من النخبة وغيرها إلى مراجعة بفرض حسن النوايا.

إن إطـلاق سراح الإسـلام، أو التسـامح معـه، مسـألة أساسـية ومنهجيـة قبـل أن نطالب بتجديد الفكـر الـدينى أو مـا يسـمى كـذلك، وعندئـذ سـتكون الأمـور ذات وضع آخر، يفرض على الجميع أن يفكروا بصورة جديدة!

■ ■ ■

فزاعة الحسبة .. وجنرالات الثقافة !

مضحكات الحياة الثقافية المبكيات لا تنتهى. لم يكن أولها موضوع وليمة الكاتب الشيوعى الطائفى (النصيرى) حيدر حيدر، ولا آخرها كتاب «العشاق» الذى ألفه صحفى مغمور فى إحدى المجلات الحريمى بقصد الشهرة والمنفعة.

فى كل الأحوال يخرج «المغمور» إلى الناس بكتابة رديئة لا قيمة فنية لها، ويسعى إلى لفت الأنظار، عن أحد طريقين أو هما معاً، الجنس والدين. ويثور البسطاء من الناس دفاعاً عن الحياء أو الإسلام، ويبدأ الأخذ والرد فى المسألة على صفحات الصحف، وعبر الأثير وعلى الشاشات الفضائية والأرضية، ومن خلال ترديد اسم المغمور يتحول إلى شخص مشهور، كما حدث بالنسبة لحيدر حيدر وآخرين، حيث كانوا فى الظل الظليل لا يسمع بهم أحد، ولا يعرفهم أحد، إلا فى حدود دائرة ضيقة من الحزب أو الجماعة التى ينتمون إليها.

الحالة الجديدة التى جرت بالنسبة لكتاب «العشاق»، دفعت نفراً من مثقفى السلطة إلى تضخيم المسألة، وتحويلها إلى صراع سياسى بين بعض التيارات والسلطة، وتصفية حسابات معها على جبهة الشعر والأدب، ثم جرى كلام لإدانة الحسبة بوصفها تهدد الإبداع والحرية، ثم جرى استكتاب بعض الأدباء والنقاد لكتابة المقالات الطويلة والتقارير المسهبة حول قيمة الكتاب وأهميته، وعده إضافة قيمة إلى الأدب العربى، وفى السياق تظهر صور «المغمور»، ويتكرر ذكر اسمه، ويتحول إلى شهيد للظلاميين أعداء الحرية والإبداع، الذين يرفضون الفن والجمال،

وينكفئون على أنفسهم ويعيشون فى الماضى وخارج العصر!

وإذا كان «المغمور» قد حاول توظيف الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة فى مواضع غير لائقة، ووجد من يدافع عنه ملتمساً نماذج مماثلة فى التراث القديم تبدأ بالحمد والصلاة والتسليم لتعادل الكلام عن مصارع العشاق ورجوع الشيخ إلى صباه وغير ذلك، فإن المسألة لها وجه آخر يجب أن نلتفت إليه، أو كان يجب الالتفات إليه، بعيداً عن ثرثرة جنرالات الثقافة الرسمية، واتهاماتهم الغريبة لمن يخالفونهم الرأى، هذا الوجه يتمثل فى فساد الثقافة الرسمية وخوائها وجمودها وإلحاحها على معاداة الثقافة الإسلامية تصريحاً أو تلميحاً، والدعوة المباشرة أو غير المباشرة إلى التغريب والاستسلام للثقافة الاستعمارية بلا قيد ولا شرط.

يفترض فى تصفية الحسابات أن تكون بين قوى متعادلة، وهذا ليس قائماً فى الواقع. فمن يستطيع أن يواجه السلطة بإمكاناتها الساحقة، ولو كان ميدان المواجهة هو الشعر والأدب؟ إن الكلام عن الحسبة ورفضها والتخويف منها بوصفها ضد الإبداع والحرية، هو كلام فارغ لا أساس له، لأن المبدع الحقيقى هو الذى يحترم طموحات المجتمع ومشاعره ومعتقداته، ويعبر عنها بفن واقتدار، ويؤثر بها فى الناس داخل وطنه وخارجه. أما أشباه المبدعين والمتسلقين فى عالم الأدب والشعر فهم أعجز عن التأثير والإبداع جميعاً. الحسبة مبدأ إسلامى يجب احترامه والعمل به دفاعاً عن هوية الأمة ومعتقداتها وقيمها وآمالها ومستقبلها، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]. الأدباء الكبار والشعراء العظماء لا يلجأون إلى الوسائل الخسيسة من أجل الشهرة والدعاية، لأنهم يملكون الرؤية الناضجة والأدوات الجيدة، وهذا يكفيهم، لأن أعمالهم الأدبية هى التى تجذب الناس وتشدهم وتستولى على وجدانهم.

نحن فى هذه المرحلة أمام خلل كبير فى الحياة الثقافية، حيث انحازت السلطة إلى

تيار واحد يمارس الاستبداد والأنانية بشراسة وقسوة- غير مسوغين- فى اضطهاد التيارات المغايرة، وفى مقدمتها التيار الإسلامى؛ وهو التيار الذى يهاجمه معظم الذين يريدون استرضاء السلطة والتقرب منها والفوز بعطاياها.

إن التيار اليسارى المتأمرك مع اللائذين به، يهيمن على المرافق الثقافية ومؤسساتها فى النشر والمجلات والمؤتمرات والمهرجانات والندوات والمحاضرات والسفريات... إلخ، ومع أن هذا التيار اليسارى المتأمرك يمثل أقلية محدودة بين التيارات المتعددة، فقد حظى بقيادة المؤسسات والمرافق من منظور أوحد، هو محاربة الإسلام فى مكافحة المجالات وتشويه صورته وعده العقبة الرئيسة فى سبيل تطور المجتمع، وهو ما يردده أعداء الأمة ليل نهار!

إن الحسبة يجب أن تتوجه إلى من يعنيهم الأمر بسؤال بسيط: هل يجوز للتيار اليسارى المتأمرك أن يقود الثقافة المصرية التى ينفق عليها الشعب المصرى المسلم الذى يكره الشيوعية القديمة والأمركة الجديدة؟ وهل يجوز فى بلد دينه الرسمى الإسلام أن تتاح وسائط النشر والتعبير التى تملكها الأغلبية المسلمة وغير المسلمة، لمجموعة يسارية تخلت عن مبادئها وصارت تمثل الأقلية المعادية للأديان، ولا تكف عن تكفير الناس واتهامهم «بالتأسلم»؟

إن الصحفى المغمور الذى يستثمر كتاب «المخاطبات» للنفرى جهاراً نهاراً فى كتابة كلامه الذى لا يعنى أمةً تواجه الانهيار والاندثار والضياع، ولا يهم الناس فى شىء؛ كسب كثيراً من علاقاته العامة، مع قادة الثقافة الرسمية، ولكن الذى يهم الناس هو وجود كتاب وأدباء وشعراء يستشعرون الخطر الذى تعيشه الأمة، ويدافعون عنها وعن وجودها وعن كرامتها وعن حريتها.. أما المشغولون بالنساء والمكاسب، وازدراء مبادئ الدين ومنها الحسبة، فأمرهم متروك للشعوب!

ليسوا ملائكة .. وليسوا شياطين !!!

وضعنى صهرى العزيز «حسنين كروم» فى مأزق صعب للدفاع عن الإخوان المسلمين، ولست واحداً منهم ولا متحدثاً باسمهم. هم أقدر على الدفاع عن أنفسهم وأكثر وعياً بتاريخهم ووقائع جماعتهم، وكونى أكتب فى «آفاق عربية» لا يترتب عليه أن أحمل لقب الناطق باسم الإخوان أو حزب الأحرار. ويعلم صهرى العزيز أننى مذ ولدت لم أنتم لحزب أو جماعة أو تنظيم بسبب تركيبة ذهنية ونفسية ووجدانية تستعصى على ما يسمى الالتزام التنظيمى، ولكننى فى حقيقة الأمر أنتمى - مثل حسنين كروم- إلى الإسلام، والفارق بيننا أننى أراه محور الحياة والآخرة والحركة والسكون والعبادة والعمل والعقيدة والدولة.. أراه نظاماً عاماً للمجتمع، وليس مجرد عبادات كما يفهمه بعض الناس، الذين تأثروا بالتصور الغربى للدين، وقد يكون منهم صهرى أو لا يكون..

وقد أسعدنى أن يؤكد عدم وجود نظرية ناصرية، مع انتقاده لتجربة عبد الناصر، ورفضه للتنظيم الواحد، أو ما يسمى تحالف قوى الشعب العامل، واعترافه بوجود أخطاء جسيمة فى تجربة عبد الناصر.. ثم إقراره بوجود تقارب بين الإسلاميين والناصريين، مع تضاؤل الخصومة التاريخية والحساسيات السياسية.

وأعتقد أن ذلك لا يصنع بيننا مشكلة، ويجعل القضية فى ملعبه؛ من خلال سؤال بسيط يقول : إذا كان «حسنين كروم» ينقد التجربة ولا يعترف بوجود نظرية ناصرية فلماذا يغضب من الآخرين حين ينتقدونها؟ ولماذا يرد بمنتهى القسوة إذا

جاء الانتقاد من جانب الإسلاميين ولا يرد إذا جاء من جانب الماركسيين السابقين؟ فى كتاب صدر مؤخراً للدكتور رفعت السعيد يضم سيرته الذاتية فى جزئين يتناول التجربة الناصرية بالنقد من خلال زوايا عديدة، الاعتقال، التعذيب، كتابة التقارير، الطغيان، الشمولية، إصرار الزعيم على قراءة الصحف فى طبعتها الأولى ليعدل ما يراه فى الطبعة الثانية (كان رفعت مكلفاً بتوصيل الطبعة الأولى من أخبار اليوم والأخبار إلى الرئاسة!)، الكذب على الشعب حول قضايا التنمية..إلخ، ومع ذلك فإن صهرى لا يرد على الرفاق التقدميين، ولعله قد استنفد طاقته فى الزمان البعيد مع توفيق الحكيم وبعض الوفديين فضلاً عن المؤرخ إياه، وصار اليوم متفرغاً للإسلاميين، مع أن التقارب بينه وبينهم يوجب البحث عن المستقبل بعيداً عن تقليب جراحات الماضى التى تصم النظام الناصرى بالكثير من السواد الذى لا ينمحى !

لقد قلت: إن الحرية تليق بمصر، وإن شعبها يستحق أن يعيش كريماً يملك كرامته وحقه فى المشاركة والأمن والمساواة والعدل، وأعتقد أن الحركة الإسلامية عامة، والإخوان خاصة، قد أسهمت بدور كبير فى النهضة الحديثة من خلال تنشيط الوعى بالإسلام والاستقلال والحرية، وقد أدى كل دوره فى حدود طاقته ومفاهيمه واجتهاداته، ولا أظن أحداً ينكر دور حسن البنا فى تقديم الإسلام إلى جموع الشعب المصرى، بل الشعوب العربية والإسلامية، من خلال أسلوب سهل مبسط، ووضعه فى بؤرة اهتمام الجماهير من خلال البناء الفكرى والتربوى والسياسى والاجتماعى، وهو ما أثمر حركة إسلامية فعالة تقاوم الاحتلال والغزو الاستيطانى لفلسطين وترفض الفساد السياسى والاقتصادى والاجتماعي، وهذا لا يعنى أن الإخوان ملائكة من نور، فهم بشر لهم أخطاء البشر وخطاياهم أيضاً، ولعل

الإخوان، دون غيرهم من الجماعات، من أفضل التنظيمات التى تنقى نفسها أولاً بأول، حيث لا يصبر على تعاليم الإسلام وقيمه الخالصة إلا كل مسلم مخلص لربه يقاوم عناصر الشر والفساد والخواء والغرور والعجب والخيلاء والبحث عن الدنيا دون الآخرة، ولعل هذا يفسر استمرار الجماعة ثلاثة أرباع قرن، وتحملها للضربات القاصمة التى أنزلتها بها الحكومات، والمؤامرات التى تحيكها دول الهيمنة والاستكبار..

إن الخطأ الإنسانى وارد، وتعدد الاجتهادات والمفاهيم بحكم الزمان والمكان وارد، فالملك قبل الانقلاب العسكرى فى يوليه ١٩٥٢، كان رمزاً شعبيًّا، وكانت له مكانته فى قلوب الناس وقد تبارى الشعراء والكتاب المرموقون فى مدحه والإشادة به، وكان لإسماعيل صدقى على قسوته واستبداده مؤيدون ومناصرون، وكانت الأحزاب فى مفهوم كثير من الناس مصدر شر وفرقة وتناحر وتفريط فى المبادئ وخاصة بعد حادث ٤ فبراير...بل فى أيامنا، فإن بعض الأحزاب القائمة تماهت مع حزب السلطة كى لا يحدث لها ما حدث لغيرها من حل أو تجميد أو تمزيق، ثم إن مقارنة ملوك ما قبل الانقلاب وملوك ما بعده، يجعل الاستبداد القديم أكثر رحمة وإنسانية من الاستبداد الجديد الذى صنع معجماً فريداً فى نوعه من عينة «وراء الشمس» و«النكسة» و«الاشتراكية العربية» و«البلد تحكمها عصابات»!

فى رأيى الخاص أن الإخوان ليسوا ملائكة من نور، ولكنهم أيضاً ليسوا شياطين من نار، وأعتقد أن تاريخهم يخلو من نهب البنوك واستغلال النفوذ وفساد الإدارة وسوء السلوك وسرقة أموال الدولة.. ثم إن أفرادهم أو كثير منهم على الأقل متفوقون فى مجالات تخصصهم، ملتزمون بسلوك إسلامى فى الإتقان وحسن المعاملة والوفاء بالوعد.. وهو ما نفتقده فى هذا الزمان على المستوى العام.

لقد بذلوا جهودهم فى شتى الميادين إخلاصاً لله وتضحية وفداء، ولعل دورهم فى حرب فلسطين وعمليات القناة ما يغفر لهم أخطاءهم التى يلح عليها خصومهم بفرض صحتها، ومن المفارقات أن بعض الصحف التى نريد إثبات الولاء تهاجمهم، والمتسلقون الذين يسعون إلى غايات شخصية يهاجمونهم، والمجلات التى تريد زيادة التوزيع تهاجمهم.. مع أنهم ليسوا شياطين؟! ترى هل آن الأوان للتنافس العاقل الواعى النظيف تحت راية القانون؟

■ ■ ■

ثقافة المقاومة .. وثقافة الهوان ؟!

حين استسلمت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، كان مطلب اليابانيين من أعدائهم، شرطاً للاستسلام؛ الإبقاء على «الإمبراطور» بوصفه رمزاً لعقيدة يعتنقها الشعب، وثقافة تحرك المواطنين، وحضارة لها تميزها بين الناس، ثم عقد مجلس الخبراء فى وزارة التعليم اجتماعات مطولة لمناقشة قضية اللغة المستخدمة، هل يستبدلونها بلغة أخرى (الإنجليزية مثلاً) أو يمزجون بينها وبين اللغة المقترحة، أو ييسرون استخدام اليابانية فى المقررات الدراسية ويخفضون عدد الكلمات التى يتوجب على الطالب أن يحفظها؟ بعد الاجتماعات المطولة قرر الخبراء زيادة عدد المفردات اليابانية المقررة على الطلاب إلى الضعف تعبيراً عن التمسك باليابانية والتراث اليابانى.

وقبل أن يستسلم الفرنسيون، اشترط «بيتان» وحكومته، عدم مساس القوات النازية بمدينة باريس ومتاحفها وآثارها، تعبيراً عن تمسكهم بتراث حضارى؛ غال عندهم وعزيز عليهم. هذا الاستسلام العسكرى عند اليابانيين والفرنسيين، كان يحمل بذور المقاومة، أو ثقافة المقاومة، لأن فقدان الذات (ثقافيًّا وحضاريًّا وعقديًّا) يعنى الهوان والمذلة، قبل أن يعنى التسليم والانبطاح. ولعل شرط اليابان، وشرط بيتان، كانا من وراء نهوض اليابان اقتصاديًّا وتحقيق الاستقلال الواقعى الذى جعل اليابان تعامل أمريكا (دولة الاحتلال) معاملة الند للند، ونهوض فرنسا عسكريًّا من خلال المقاومة عبر المانش والبحر المتوسط بقيادة الجنرال «ديجول» ليتحقق

الاستقلال، والتفوق فيما بعد!

ويلاحظ أن فرنسا لا تقل حرصاً عن اليابان على لغتها وثقافتها وتراثها، وكان موقفها من اتفاقية الجات يمثل ذروة الانتصار لموروثها الحضارى أو هويتها الحضارية، ويماثل هذا الموقف ما تبذله فرنسا من خلال مؤسساتها التعليمية والدبلوماسية والسياسية لتعزيز مكانة الثقافة الفرنسية لغة وتراثاً وحضارة على امتداد العالم، وفى الكلية التى أعمل بها يأتى السفير وطاقم السفارة أكثر من مرة سنويًّا لزيارة القسم الذى يدرس الفرنسية وآدابها وحضارتها لتشجيع المتفوقين، وترتيب الرحلات والزيارات والدورات التى توطد أواصر العلاقة بين الطلاب وبين الثقافة الفرنسية.. إنهم قوم جادون يحبون ثقافتهم ويعملون من أجلها بكل الوسائل ولا يخجلون منها!

وعقب الحرب العالمية الثانية قام المخرج اليابانى الكبير «أوزو» بإخراج فيلمه الشهير «حياة طوكيو» ليسهم فى ثقافة المقاومة، من خلال معالجته للعلاقات الإنسانية التى دمرتها الحرب فى المجتمع اليابانى، ويحرك فى شعبه عواطف الانتماء الأسرى والعائلى وقيم التماسك الاجتماعى فى مواجهة عوامل الإحباط والأنانية والانهيار الوطنى.. ولم يكن «أوزو» وحده فى هذا السياق، بل كانت السينما اليابانية تمضى فى هذا الاتجاه الذى يرى العالم وهو جالس على الأرض، وليس على الكراسى؟

ترى ما هى الصورة على الجانب العربى؟ الصورة معروفة، ولا تحتاج إلى كثير تفصيل، يكفى أن تفتح بعض الصحف والمجلات، لترى دعوات الاستسلام والدفاع عن قتلة الشعوب، وتسويغ الخيانة بوصفها وجهة نظر، ثم احتقار الثقافة الوطنية القومية ووصفها بالشوفينية والعنصرية، وتحقير دين الأمة وعقيدتها،

ووصفه بالرجعية والأصولية والظلامية، ثم اختلاق قضايا فرعية خلافية وتضخيمها لإقناع الناس أن الدين هو العقبة الأولى فى طريق التقدم، فهو الذى - بحسب البعض - يقهر المرأة، ويعادى الديمقراطية، ويحارب الفن، ويحرم الإبداع، وقبل ذلك وبعده يحرض على الإرهاب والعنف.. وما أكثر الدعوات التى اتخذت مما يسمى بتجديد الخطاب الدينى (الإسلامى طبعًا) ذريعة لشن حملات غريبة وغير مفهومه ضد الإسلام وتعاليمه وفقهه وشريعته.. ولا مجال لحوار موضوعى أو علمى أو هادئ، ولكنه حوار طرشان!

لفت نظرى فى الصحف اليومية والأسبوعية خبران،أولها يتعلق بتدريب كوادر صحفية مصرية فى مصر (٤ أسابيع) وفى الولايات المتحدة (٨ أسابيع)، والتدريب تساعد فيه جهات ترتبط بأجهزة المخابرات الأميركية (راجع مقال حسين عبد الرازق- الأهالى ١٣/ ٨/ ٢٠٠٣)، والآخر، يشير إلى أن مجموعة من أئمة المساجد المصرية فى طريقها إلى الولايات المتحدة أيضا، للتدريب على أساليب الدعوة المستنيرة. الخبران يصبان فى بحر الهوان الذى وصلت إليه ثقافتنا حيث تستجدى التطوير والتحديث من خلال عدوها الهمجى، الذى يسعى بكل الوسائل (ومنها دورات التدريب المشابهة) ليغسل أدمغة الصحفيين والأئمة كى لا يكونوا إرهابيين بمفهومه- مقاومين بمفهومنا- أى رافضين للاحتلال والتبعية والتفريط فى حقوق الأمة وثقافتها المقاومة!

إن العدو النازى اليهودى فى فلسطين يبعث ديناً ولغة مضى عليهما أربعة آلاف عام وهما مطموران فى أعماق التاريخ، ولا يخجل منهما. وفى الوقت ذاته نجد من يسعى بلا حياء إلى دفن ديننا ولغتنا من خلال نفى ثقافة المقاومة وتلويثها، وتأمل ما تقرأ فى الصحف والمجلات، وما تسمع فى الإذاعات، وما تشاهد على الشاشات وفى الشوارع، ثم احكم على ما يجرى.. وقارن بين ثقافة المقاومة.. وثقافة الهوان.

السلطة الثقافية .. والتبعية الاستعمارية !

كانت فكرة إنشاء هيئة حكومية تعنى بالنشاط الثقافى والمثقفين مثالية فى أول العهد بها، وقد أنشئت فى مصر - مع بدايات انقلاب ١٩٥٢ - مصلحة الفنون التى كانت تتبع فى البداية وزارة المعارف، ثم تحولت إلى وزارة مشتركة مع الإرشاد القومى - أى الإعلام - ثم أصبحت وزارة الثقافة مستقلة بذاتها، تشرف على شئون الكتاب، والمسرح، والسينما، والمجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، وإدارة التفرغ وهيئة الآثار، وغيرها، واستخدمت السلطة السياسية الأدباء والكتاب والمفكرين والمثقفين فى قيادة المرافق الثقافية وهيئاتها، ومن ثم نشأت علاقة عضوية بين الطرفين؛ السلطة والمثقفين. السلطة تحتاج المثقفين للترويج لنظرياتها وأفكارها ومشروعاتها، والمثقفون يحتاجون السلطة لأنها تملك لقمة العيش والفاكهة والوجاهة ووسائط الشهرة والهيمنة.. ومن ثم صار المثقفون - بإيجاز شديد - جزءاً من السلطة وركناً مهمًّا من أركانها. لقد أصبح ارتباط المثقفين بالسلطة مصيريًّا بعد تأميم الصحافة وامتلاك الإذاعات وقنوات التلفزة.. السلطة التى تملك كل وسائط التعبير والشهرة استغرقت المثقفين وتحولت إلى حبل سرى لا يمكنهم الاستغناء عنه، لأن الاستغناء ورضاها، فعاشوا فى الظل لا يتكلم عنهم أحد، ولا يذكرهم أحد إلا نادراً.. فضلاً عن نفيهم من الساحة الثقافية الرسمية تماماً.

ما حدث فى مصر حدث فى معظم الدول العربية إن لم يكن كلها، بنسب متفاوتة، ولكن النخبة المثقفة كانت فى مجملها جزءاً من السلطة، أو تحولت هى إلى

سلطة حقيقية، وإن كانت توصف بالسلطة الثقافية!

ومع وجود هامش للحرية- حرية الكلام فقط- وصدور بعض الصحف المستقلة أو المعارضة - كما تسمى- مع انتشار القنوات الفضائية التى تبث من بعض العواصم، وتقدم مساحة ملحوظة من حرية الكلام، فقد وجدت السلطة الثقافية نفسها فى مأزق. إذ صارت ممارساتها مطروحة على الملأ من خلال هذه القنوات أو تلك الصحف، وهو ما جعلها- أى السلطة الثقافية- تتماهى مع السلطة السياسية بصورة كاملة أو شبه كاملة، فقد وجدت نفسها مطالبة بالدفاع عن السلطة السياسية فى كل الأحوال.. وتسويغ تصرفاتها وممارساتها وتجاوزاتها.

عندما كان معظم العرب يقيمون علاقة حميمة مع الاتحاد السوفياتى- الراحل- اضطرت السلطات الحاكمة فى البلاد العربية إلى الاستعانة بالشيوعيين وأشباههم، وقام بعض الحكام العرب بإخراج الشيوعيين من معتقلاتهم وتسليمهم قيادة الفكر والثقافة والدعاية، حتى من كان محدود الثقافة منهم، صار له مكتب فخم فى صحيفة أو مجلة أو إذاعة أو قناة تلفزيونية أو إدارة ثقافية، وعاش الشيوعيون وأشباههم فترة ذهبية انتهت بموت عبد الناصر عقب الهزيمة الكبرى عام ١٩٦٧. ثم تقلص نفوذهم بعض الشىء فى عهد الرئيس السادات. ولكن دخول العصر الأميركى/ الصهيونى، وما تلاه من سقوط الاتحاد السوفياتى وهيمنة القطب الأوحد (الولايات المتحدة)، وقبل ذلك عملية الدخول فيما يسمى «السلام» مع العدو الصهيونى، هيأ الفرصة لعودة اليساريين القدامى بكثافة ملحوظة، مع المنبهرين بالحالة الأميركية والمستسلمين لها، حيث احتلوا المرافق الثقافية والإعلامية والصحفية، وروجوا لقيم الاستسلام والاستهلاك، وصار التطبيع مع العدو الصهيونى أمراً لا غضاضة فيه، والتسليم بفلسطين والقدس واقعية فى العمل

والسلوك، والتبعية المطلقة للاستعمار الأميركى شطارة تحسد عليها الحكومات.. بل رأينا من يرحب بالاستعمار الأميركى لينظم حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية..

صارت السلطة الثقافية إذاً جزءاً من السلطة السياسية، فى تبعيتها للاستعمار الأميركى، وخضوعها للنفوذ الصهيونى وإرادته ومطالبه.. وكما تطالب الحكومة الصهيونية مثلاً أن يكون النضال الوطنى والجهاد القومى لتحرير أرض فلسطين إرهاباً وتطرفاً، فإن السلطة الثقافية تعتمد هذه الرؤية وتدافع عنها، وإذا رأت الولايات المتحدة أن الإسلام وقيمه التى تحض على الجهاد والعزة والكرامة إرهاباً وتطرفاً، فإن السلطة الثقافية فى البلاد العربية لا تتوانى فى الترويج لهذه الرؤية وإبرازها فى المؤتمرات والندوات والمحاضرات والكتب والحوارات الإذاعية والتلفزية والصحفية.. وهكذا صارت السلطة الثقافية ابنة شرعية للفكر الاستعمارى وتجلياته الشريرة التى تعنى التبعية المطلقة والتنازل عن الاستقلال والهوية والحرية والكرامة والقوة.

كان الإسلام – وما زال- هو العقبة الكؤود فى طريق المخطط الصهيونى / الأميركى/ الاستعمارى، ولأن أصحاب هذا المخطط يريدون القضاء على كل العقبات التى تعترض طريقهم، فقد كان استئصال الإسلام هدفاً استراتيجيًّا تتعدد الوسائل إلى تحقيقه وتختلف، ولكنها فى النهاية تسعى إلى تحقيقه. إن الحروب العسكرية المباشرة وسيلة، وقد رأينا نموذجاً منها فى إسقاط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية بحجج واهية ثبت كذبها أمام العالم، وإن الحروب الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية وسائل أخرى، وأمرها معروف ولا يحتاج إلى تفصيل، أما الحرب الثقافية فهى الوسيلة الأخطر والأعظم لأنها تستهدف دماغ الأمة وقلبها

ووجدانها، وللأسف فقد قامت السلطة الثقافية فى البلاد العربية بخدمة هذه الوسيلة خدمة كبرى حين استسلمت للإرادة الصهيونية/ الأميركية، فعملت على محاربة الإسلام وقيمه وأخلاقه تحت تسميات مختلفة، بل إنها تتجاوز ذلك إلى تفكيك الآداب والتراث، وتشويه ما تملكه الأمة من ثقافة مضيئة لإحلال الثقافة الاستعمارية ومعطياتها بدلاً منها.. لذا لم يكن غريباً أن ترتفع الدعوات من رموز السلطة الثقافية فى بلادنا العربية إلى استئصال الإسلام، وعده العقبة الرئيسة فى طريق النهضة والرخاء والمستقبل، والإلحاح على ضرورة علمنة الدول العربية، وحذف المادة الثانية من الدساتير التى تتحدث عن الشريعة الإسلامية بوصفها المصدر الرئيسى للتشريع، والإلحاح على تغيير التعليم الدينى الإسلامى (وحده) بوصفه مصدر الإرهاب والعنف.. إنها مطالب المستعمر الأميركى/ الصهيونى يرددها أهل السلطة الثقافية تكريساً للتبعية والاستسلام.. فهل ستنجح هذه السلطة؟

■ ■ ■

جوائز النظام ومثقفو الحظيرة

في بداية الصيف من كل عام يعلن النظام جوائزه العلمية والأدبية، ويفترض أن هذه الجوائز مكافأة لأصحاب الفكر والثقافة والعلم الذين يتميزون عن غيرهم أو يتفوقون كيفاً وكمًّا، ويرى الناس أنهم تركوا بصمة حقيقية واضحة في مجال تخصصاتهم ومواهبهم.

كانت المسألة معقولة في الخمسينيات والستينيات، وكان كثير من الفائزين بالجوائز يستحقونها عن جدارة وأهلًا لها، ويوم تحول النظام إلى حالة بوليسية فاشية قبل ثلاثين عاماً، فإن الجوائز ضلت طريقها في الأغلب إلى أتباع السلطة والموالين لها، مهما كانت الكفاءة متدنية، والموهبة ضحلة، والمستوى هابطاً. المهم أن الفائز عندئذ هو ابن النظام عامة، والمدافع عنه، والقائم على إسكات خصومه، ولو كان هؤلاء الخصوم هم أفراد الشعب جميعه!

لوحظ أن العقود الأخيرة خلت من أهل الأزهر الشريف فلم تمنح الجائزة لواحد من أعلامه أو خريجيه، باستثناء رئيس جامعة سابق لجامعة الأزهر لأسباب غير علمية أو أدبية، حيث لم يترك أثرًا في مجال تخصصه العلمي.

والموقف من الأزهر ليس تلقائيًّا أو اعتباطيًّا، ولكنه يرجع إلى أن القائمين على أمر الجوائز في خصومة دائمة مع الإسلام وكل من يمثلونه، حتى لو كان تمثيلهم صوريًّا غير مؤثر في الواقع العام أو الحياة العامة. فهؤلاء الذين يسيطرون على المؤسسة الثقافية ينتمون في معظمهم إلى التيارات المعادية للإسلام (شيوعيون

وماسون ومتأمركون وليبراليون وعلمانيون وباحثون عن المنافع والمصالح الصغيرة بصرف النظر عن المبادئ أو المواقف)، وهؤلاء لا يتسامحون مع الإسلام، ولو كان مجرد شكل يعبر عنه الأزهريون، الذين قال شيخهم ذات يوم: إنه «موظف حكومى»، وقال قبل سنوات: «كل واحد حر فى دولته» تعليقاً على موقف ساركوزى من الحجاب والنقاب.

وإذا كان الأزهر غائباً عن جوائز النظام بسبب الشكل الإسلامى؛ فقد غاب عنها من ينتمون إلى الإسلام فكراً وسلوكاً، نظرية وتطبيقاً، قضية ومصيراً، فهؤلاء يعدون من أعداء النظام ولا يجوز بحال أن تذهب إليهم جائزة واحدة، ولو كانت الجوائز تمول من أموال المسلمين وعرقهم وكدهم!

ومن يتأمل أسماء الفائزين الذين أعلن عنهم المجلس الأعلى للثقافة، يجد أن أغلبيتهم الساحقة من مثقفى النظام، أو ما يطلق عليهم «مثقفو الحظيرة»، أما من فاز من خارج الحظيرة، فقد زال خطرهم على النظام معارضة أو رفضاً، بسبب المرض أو عدم الرغبة أساساً فى مواجهة السلطة.

وهكذا يصبح مثقف الحظيرة نجم الموسم الثقافى بفوزه بجائزة النظام، ولو كانت قدراته الأدبية متواضعة ومحدودة. فالنظام يتولى الترويج له والدعاية لكتاباته الرديئة وأعماله الفنية الفجة، لقد أبلى بلاء (حسناً) فى التشهير بالإسلام والمسلمين، والقتال ضد الدعوة إلى اعتماد الشريعة منهجاً وأسلوباً، وفرض إرادة الأقلية الدنيوية على الأغلبية الإسلامية الساحقة، وتأييد السلطة فى تعديلات الدستور والقوانين التى تقصى الإسلام أو تعزله فى ركن ضيق، بالإضافة إلى تأييد التمرد الطائفى واتهام المسلمين بالتحرش بغير المسلمين والتعصب ضدهم واضطهادهم!

والنظام البوليسى الفاشى معه حق، فهو لم يسلك سلوكاً غريباً أو نشازاً حين

يكافئ هؤلاء الأتباع والأنصار من مثقفى الحظيرة، فقد هيمنوا على الساحة الثقافية تقريباً، واستطاعوا أن تكون لهم الكلمة الأولى فى المؤسسات الثقافية والصحفية والإعلامية، بل والتعليمية وتمكنوا من وضع الإسلام فى دائرة الاتهام دائماً، فهو الإرهاب وهو التطرف وهو الإظلام فضلاً عن الأسماء الأخرى: الرجعية، الأصولية الظلامية، الجمود، التخلف، التشدد، البداوة، الوهابية، الصحراوية، الماضوية... وقد صارت هذه الأسماء لصيقة به وبتشريعاته وقيمه.

وفى المقابل يتم من جانبهم الترويج للمصطلحات الغربية المراوغة: الليبرالية، التنوير، التقدمية، المستقبلية، الثورية، التحررية، المدنية، التطور، التسامح...إلخ.

نجوم الحظيرة إذًا يستحقون المكافأة بالفوز بجوائز النظام المختلفة، ويحق لهم أن يتقبلوا شكر السلطة على جهودهم فى تقويض دعائم المجتمع المسلم على مدى ثلاثين عاماً، انهار فيها التعليم، وتدنت الأخلاق، وتمزقت روح الأمة، وتلوثت مما أدى إلى المضاعفات التى تسمع عنها وتطالعها يومياً فى الأخبار عن الحوادث البشعة والجرائم الرهيبة، فضلاً عن السرقات والانحرافات والرشاوى والتزوير والانحلال والغش والنصب والخداع والوساطة والمحسوبية ...إلخ.

لقد تم إقصاء الإسلام من الثقافة والتعليم والإعلام، وراح مثقفو الحظيرة يفاخرون بأدوارهم فى هذا السياق؛ ولم يكن غريباً أن تستضيف قناة طائفية أحدهم ليفاخر بانتصار الليبرالية والعلمانية على من يسميهم الوهابيين المتطرفين الإرهابيين، وأن الجائزة التى نالها تمثل تغييراً فى اتجاه المجتمع نحو المواطنة والاعتراف بالعلمانيين؛ رسل التنوير والتطور ضد الظلامين والرجعية، ويشيد مقدم البرنامج الذى صعد على بساط تقارير لاظوغلى إلى منصب رئيس تحرير بالفائز الذى لا يخافت بعدائه الصريح للإسلام والمسلمين وحصوله على أصوات عالية من أعضاء

المجلس الأعلى للثقافة الذى يسميه الفائز صوت الضمير الثقافى الشعبى (!)

ولسنا فى مجال يسمح بالجدل حول الفائز الذى يشكك كثير من الناس فى درجة الدكتوراه التى يزعم أنه حصل عليها. أو سر الاهتمام الدعائى به يوم كان زوجاً لابنة شيوعى شهير، أو أكاذيبه الفكرية ومغالطاته الثقافية ومسرحياته الدعائية، ولكن المؤكد أن الرجل خدم النظام خدمة جليلة فى مجال التشهير بالإسلام، سواء فى جريدة الوزير التى تفسح له مقالاً طويلاً أسبوعيًّا يشكك من خلاله فى الإسلام، أو فى بقية الصحف الحكومية أو القنوات التلفزيونية التى تقدمه مفكراً مستنيراً يكافح التطرف- أى الإسلام!

إن المهمة التى يتمركز حولها مثقفو الحظيرة، هى تشويه صورة المسلم الذى يتمسك بإسلامه وشريعته، وقد حقق بعض الفائزين ثروات ضخمة من التجارة فى هذه المهمة الوضيعة، وانتقل من غرف السطوح إلى أجنحة الفنادق الفاخرة، ولا عجب أن يعيش بعضهم تحت حماية الشرطة، وليس حماية الشعب، وأن ترتبط شهرة بعضهم بحضانة السلطة البوليسية الفاشية وليس بالتأثير فى الناس وترقيتهم.

ومن المؤكد أن المستحقين الحقيقيين للجوائز خارج الحظيرة، وبعيدون عنها، وليسوا فى حاجة إلى شهادة من المجلس الأعلى للثقافة الذى لا يمثل بالضرورة ضمير مصر الثقافى، وإن كان كثير من أعضائه قد نعموا بالحظيرة وخيراتها على حساب المسلم الفقير وأشياء أخرى.

■ ■ ■

يا عم قوم روح .... !

صارت برامج الرغى الليلى التلفزيونية وسيلة من وسائل الزراية بعلماء الإسلام والمدافعين عنه، وصارت استضافتهم فى هذه البرامج حيلة من حيل النخب الثقافية الفاسدة، لتشويه صورة هؤلاء العلماء وإهانتهم، وتقديمهم للناس فى صورة الساذج العبيط الأهبل الذى لا يستطيع الصمود أمام عباقرة الفكر وقادة الأدب فى مصر المحروسة، وخاصة إذا كانوا من أهل الحظيرة الثقافية.. ! ولأن علماء الإسلام ودعاته والمدافعين عنه يملكون العفة ويلتزمون الأدب، ويترفعون عن الصغائر، فهم لن يردوا على همجية مثقفى الحظيرة ويلطجتهم وسوقيتهم الفاقعة، وقل لى بالله ماذا يفعل واحد مثل الشيخ البرى فى مواجهة من يقول له على مسمع ومرأى من ملايين المشاهدين: يا عم قوم روح...؟؟ وهى أخف الجمل والكلمات الساقطة المهينة التى تلفظ بها هذا المخلوق فى مواجهة الشيخ الطيب.. بينما زميله الحظائرى الآخر الجالس فى الاستوديو ينهر الشيخ بفظاظة ليسكته ويلهيه ويربكه متهمًا إياه بالتكفير وإخراج الشيوعيين ومثقفى الحظيرة من الملة.. والست المذيعة المهذبة (!) تبدو معجبة بالمثقف الحظائرى، فى الوقت الذى تقاطع فيه الشيخ والمتداخلين المؤيدين له بغلظة وفظاظة، وكلما بدا أن متحدثاً إسلاميًّا يوشك على توضيح فكرته تقطع عليه الحديث، وكأن اللعبة مرتبة ومتفق عليها بين من يقدمون البرنامج وبين خدم السلطة البوليسية الفاشية الذين يدافعون عنها وعن الوزير الذى ضل فكره وساء عمله وخاب سعيه!

الموضوع المطروح للمناقشة هو حصول مخلوق من الحظيرة الثقافية على أعلى جوائز الدولة المصرية فى الاجتماع نظير كتاباته عن الإسلام، وهى كتابات لا ترقى إلى مستوى البحث العلمى ولا تستخدم أدواته ولا مصادره الموثوقة وهى فى مجملها ترديد مشوه لمقولات بعض المستشرقين عن الإسلام ونبيه ﷺ تنقصها الدقة ويغذيها التعصب الصليبى الاستعمارى وتهدف فى نهاية المطاف إلى تصوير الإسلام بوصفه دينا موضوعاً ومزيفًا وضعه محمد ﷺ وجده عبد المطلب، واحتذى فى صياغته اليهود..إلخ.

ولكن أهل الحظيرة الثقافية الذين يناقشون الموضوع استطاعوا بتكتيكهم الشيوعى أن ينحرفوا بالمناقشة إلى : مدى شرعية جبهة علماء الأزهر التى ينتمى إليها الشيخ البرى- ليس من حق جبهة علماء الأزهر أن تناقش موضوع الفساد الثقافى الذى عبر عن نفسه بمنح أحد مخلوقات الحظيرة الثقافية جائزة الدولة التقديرية- اتهام الشيخ البرى والجبهة والمدافعين عن الإسلام بتكفير مثقفى الحظيرة- طرح سؤال: من جعلكم أيها الإسلاميون وكلاء عن الله؟- دعونا نتناقش أيها الإسلاميون وردوا على ما يكتب عن الإسلام فى كتب! وأبسط متابع يعلم جيدًا أن هذه المحاور ليست فى الموضوع وأن من حق المسلمين وغيرهم فى هذا الوطن أن يناقشوا الفساد الثقافى والانحراف فى مسيرة السلطة الثقافية وأن يدافعوا عن الإسلام بوصفه المجال الحضارى والعقدى للأمة، وأن تكفير الناس أكذوبة اخترعها خدام النظام من مثقفى الحظيرة للتشهير بالإسلام والمسلمين، حتى لو تبنت عملية التكفير جماعة محدودة هنا أو هناك.. فمثل هذه الجماعات موجودة فى المسيحية واليهودية جميعاً، ويكفر بعضها بعضاً، أو يكفر بقية الناس؛ ولم يتهم أحد المسيحيين جميعاً أو اليهود جميعاً بأنهم يكفرون الناس، ثم إن هناك كتبًا علمية

وكتابات موضوعية عديدة ناقشت المخلوق المزور وكشفت زيف مؤلفاته وتهافت أفكاره!

يؤكد الانحراف بالنقاش عن طبيعته التى تتناول الفساد الثقافى، أو يوحى أن السلطة البوليسية الفاشية ترغب فى إثبات الولاء للمؤسسة الاستعمارية الصليبية؛ وأنها ضد الإسلام وترحب بالملحدين الذين يطعنونه ويدعون أنه دين كذب واختلاق، وأن هناك نية مبيتة للتشهير بالإسلام والإسلاميين وتحدى الإرادة الشعبية، وسلبها أعز ما تملك وهو دينها الإسلام، مما يفرض على الأمة جميعاً وليس جمعية علماء الأزهر، أن تنهض للدفاع عن هذا الدين، وتستبسل فى هذا الدفاع، ولا تستسلم أمام غوغائية أجهزة الدعاية الرسمية أو غير الرسمية التى يهيمن عليها مثقفو الحظيرة والمرتزقة والمنافقون والذين لا ينطقون إلا وفق ما يشير به صاحب الأجهزة الدعائية أو المهيمن عليها...

إن الحملة الشرسة ضد الإسلام لا تقتصر على التحدى بمنح الجوائز لمن حادوا الله ورسوله ولكنها تتمثل فى تحدٍّ آخر جديد، تقوم به مكتبة الإسكندرية مع المركز القومى للترجمة؛ فى استضافة المعادين للإسلام باسم الحديث عن آلية الرقابة وحرية التعبير فى العالم العربى، والمدعوون من الكتاب والفنانين الذين صادموا مشاعر المسلمين بأعمالهم وكتاباتهم ومواقفهم المهينة للإسلام والمشوهة له، وهم الذين عاقبت بعضهم المحاكم وأدانتهم قضائيًّا، وتأمل فى الأسماء لترى إلى أى مدى تحاول السلطة الثقافية الفاسدة أن تجرح مشاعر المسلمين فى فجاجة صارخة، مع أن المسلمين هم الذين يدفعون ويمولون نشاطات أمثال هذه المؤسسات:

إدوار الخراط، عبده وازن، حيدر حيدر، مرسيل خليفة، ليلى لقمان، موسى حوامدة، عماد الحاج، سامية محرز، إلياس فركوح، مجد حيدر، خالد المعالى، نجاد

البرعى، فيصل خريش، وبالطبع يقود الندوة السيدان إسماعيل سراج الدين وجابر عصفور، وتركز نشاطها على مناقشة قضايا الرقابة على الأعمال الأدبية والفنية، وقضايا المصادرة بين القانون والإعلام.

بالطبع لا يوجد كاتب إسلامى أو مثقف إسلامى فى هذه الندوة المفتعلة، ولا يوجد طرف من الأطراف التى أضيرت بسبب جريمة السيد حيدر حيدر، النصيرى الشيوعى المتعصب، أعنى الذين أغلقت صحيفتهم وحزبهم بسبب حرية الرأى: جريدة الشعب وحزب العمل المصرى الذى أسسه ورأسه المجاهد الراحل إبراهيم شكرى، مع أن الجريدة حصلت على أربعة عشر حكماً قضائيًّا نهائيًّا بأحقيتها فى الصدور...!

إذًا حرية التعبير التى يقصدها القوم فى مكتبة الإسكندرية والمركز القومى للترجمة هى حرية إهانة الإسلام فى بلد الإسلام وتحدى المسلمين فى رابعة النهار! وإذا عرفنا أن مكتبة الإسكندرية تمثل فرعاً من فروع المؤسسة الاستعمارية الصليبية فى مصر، ولا تستضيف فى الغالب إلا كل حاقد على الإسلام ومخاصم له (اقرءوا قائمة الضيوف والمشاركين فى أنشطتها منذ نشأتها)، أدركنا أن منح الجوائز لمخلوق لا يجيد إلا الشتائم والسب والقذف بلغة يعف عنها السوقة أمر ثانوى، أمام مخطط عدوانى ومجرم ضد الأمة وثقافتها الحقيقة.. أو قل الإسلام!

والسؤال الآن ما العمل ؟

اللجوء إلى القانون دفاعاً عن الإسلام ضد المجلس الأعلى للثقافة مانح الجوائز، والمركز القومى للترجمة الذى تحول إلى بؤرة تطبيع مع العدو النازى اليهودى، ومكتبة الإسكندرية التى تحولت إلى فرع من فروع المؤسسة الاستعمارية الصليبية وصارت مصطبة لخصوم الإسلام والمسلمين.

حياتنا مليئة بالفقر الثقافي !

فى غمرة الجدل الدائر حول منح جوائز الدولة لمثقفى الحظيرة، تطايرت بعض العبارات والجمل التى تعبر عن حق، ولكن يراد بها باطل، أو أريد بها باطل ولكنها عبرت عن حق، منها : أن حياتنا مليئة بالفقر الثقافى! وقد أريد بهذه الجملة أن الفقر الثقافى ناتج عن جهل المثقفين الإسلاميين الذين لا يقرءون، ويناقشون دون أن يطلعوا على ما لدى الآخر من أفكار وآراء، وقد تكون هذه المقولة صحيحة فى بعض جوانبها، إذ إن عامة المثقفين، مسلمين وغيرهم، لا يمكن أن تلم إلماماً دقيقًا بما ينشر فى الحقل الثقافى من كتب ومقالات وموضوعات، وتكتفى بما يقوله أو يكتبه المتخصصون الذين يتتبعون الأفكار والآراء، ويدرسونها بالتفصيل، ويتناولون دقائقها بالفحص والتحليل، وهذا لا يعنى بالضرورة أن هناك فقراً ثقافياً يملأ الحياة ويجعلها مجدبة، ولا نستطيع أن نجعل الناس جميعاً متخصصين، قارئين لكل ما ينشر متتبعين لكل ما يذاع.

مثقفو الحظيرة مثلا يجلسون على المقاهى أو البارات ويردد كبارهم بعض الحكايات والكلام، فيعزف صغارهم على النغمة ذاتها، ويملؤون الأفق بما قاله الكبار نصًّا ومصطلحاً فيظهرون بمظهر المثقف القارئ الواعى، ويبدو ما يقولونه شيئاً ذا قيمة حين تستمع إليهم، ولكنه للأسف ترديد ببغاوى لا يدل على الامتلاء والخضرة والنضارة الثقافية بقدر ما يدل على الببغاوية والانعزال داخل الجيتو الثقافى الذى لا يعرف ثقافته الإسلامية ولا مضمونها الحقيقى، فضلا عن تسيد

منهج المغالبة الكلامية الذى لا يتورع عن استخدام البذاءة التعبيرية، والفحش السوقى فى محاورة الآخر، ولا ينفى ذلك أن بين مثقفى الحظيرة وخاصة من المتمركسين المتأمركين من يقرأ، بل يدمن قراءة ما يكتبه الماركسيون فى أنحاء العالم، وما يقول به كتاب المنظمات التى تمولها المخابرات الأميركية.. ويردد ما تقوله المؤسسة الاستعمارية عن الإسلام والمسلمين بدءًا من أسطورية الدين حتى تسويغ احتلال بلاد المسلمين وسرقتها ونهبها وإذلال أهلها كما يحدث فى أفغانستان والعراق وفلسطين والشيشان وغيرها.

وقد فرض الشيوعيون وأشباههم على الأمة ثقافة من لون واحد ذات عين واحدة، مذ جلبهم النظام العسكرى فى الستينيات وجعل منهم مفكرين وأدباء وقادة للفكر والأدب والثقافة، بقصد نفى الإسلام وثقافته وأدبه وتراثه، فحدث ما يسمى الآن بالفقر الثقافى الذى يملأ حياتنا العامة، وصار المثقف فى بلادنا يعنى ذلك الشخص الذى تحركه الدولة لهجاء الإسلام وتشويهه والسعى لإلغائه وإقصائه تمامًا عن الحياة والمستقبل.

ليس مهمًّا أن يكون مثقف السلطة أو الحظيرة كما سماه الوزير إياه، يجيد القراءة أو الكتابة أو الإملاء أو النحو، ناهيك عن قيم التعبير البلاغية الأخرى، فالمهم أن يردد دائماً مقولات السادة الذين فى السى آى إيه عن الإسلام والمسلمين، سواء كان الهاتف الداعى بها برنارد لويس أو صمويل هننحيتون أو حتى ذلك الصهيونى الأفاق توماس فريد مان.. المهم أن يتصالح ماركس فى رقدة العدم مع السادة الأميريكان من خلال السادة مثقفى الحظيرة فى بلادنا على حساب الإسلام، لدرجة أن يكون تشبيه الخالق سبحانه بعسكرى المرور الذى يقوم بتزغيط البط إبداعاً، لا يفقهه الظلاميون أمثالنا، ولا يدركون أبعاده المجازية والفنية!.

كى تلحق بركب الثقافة فى بلادنا لابد أن تدخل الحظيرة، وتسب الإسلام وتطعن فيه، حتى لو كان طعنك خائباً مفضوحاً يدركه أصغر القراء عمراً وثقافة.. تخيل مثلا شخصًا يدعى أن السيدة الجليلة أم المؤمنين خديجة- رضوان الله عليها- ترضى بالزواج من سيد الخلق ﷺ نتيجة مؤامرة رخيصة تقضى بأن يقوم الزوج بوضع الخمر لأبيها حتى يوافق على الزواج، ويستمتع الزوج بثروته ليواجه الخصوم فى الجناح الآخر من القبيلة القرشية؟

من يردد ويكتب مثل هذا الإفك والبهتان يعلم جيداً أن والد خديجة توفى قبل زواجها بخمس سنوات، وأن المعصوم عليه الصلاة والسلام لم يذق الخمر فى حياته، لا فى الجاهلية ولا بعد نزول الوحى، بل إنه لم يغش مجالس اللهو والسمر التى كان يذهب إليها الشباب فى سنه.. ثم إنه لم يعرف عنه أنه اغتنى وامتلك المال الذى يواجه به الآخرين فى القبيلة أو خارجها، بل كان يعمل بيده، وكان يفخر بعمل الأنبياء السابقين بأيديهم مثل داود عليه السلام، ويدعو المسلمين إلى العمل بأيديهم، ولكن الكذاب الأشر لا تعنيه الحقيقة العلمية ولا البحث المنهجى، الذى يعنيه هو إطلاق الغبار، وإثارة الشك والريب حول الإسلام ورسوله ﷺ؛ فأى بؤس فى التفكير والقراءة والبحث؛ يقدمه لنا مثقفو الحظيرة الذين يعدون أنفسهم شهداء لحرية الفكر والتعبير فى مناخ أصولى ظلامى إرهابى كما يزعمون؟

ونحن نسأل مثقفى الحظيرة وأشباههم هل تقدرون أن تهينوا ديناً آخر غير الإسلام؟ هل تستطيعون التصدى لخرافات اليهود وأساطيرهم حول الأرض المقدسة- بلاش الديانة؟ هل يمكن أن تنتقدوا أو تشككوا فى المحرقة اليهودية التى تزعم أن أكثر من عشرة ملايين يهودى أحرقهم هتلر؟ إن وزيركم الفنان من أجل اليونسكو قدم اعتذارات الدنيا كلها لليهود لأنه ادعى أنه سيحرق كتباً يهودية

يكون قد طبعها فى مؤسسات وزارته، ولكنكم تهينون الإسلام وتشوهونه وتكذبون على الله وعلى نبى الإسلام، وتصفون من يناقشكم بالحسنى بأنه يجعل نفسه وكيلاً عن الله !!! ألا ساء ما تفعلون!

يقول كاتب فى صحف ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٩م وهو يناقش الجريمة التى ارتكبها النظام من خلال وزارة الثقافة بمنح أشباه الكتاب جوائز الدولة:

(ينبغى هنا أن نسأل هل يمكن أن تمنح دولة غربية جائزتها التقديرية لكاتب ينكر المحرقة أو يزدرى اليهودية أو المسيحية، بالطبع لا، فلماذا إذن تقبل حكومة الحزب الوطنى المباركة منح جائزة رفيعة لكاتب يزدرى الإسلام والمسيحية بأسلوب فج استفزازى غوغائى أبعد ما يكون عن العلم والمنطق؟)

بالتأكيد فإن أية دولة غربية، تضع فى حسبانها ثقافتها الوطنية، وقيمها الثابتة حتى لو اختلف الناس معها، ولكن الذين يريدون أن يكونوا شهداء من خلال التمثيليات الفجة الرخيصة يزعمون أنهم يخدمون الإسلام البسيط السهل.. شكر الله سعيكم. وماذا عن تقويضكم للإسلام- وهو لن يقوض بإذن الله- بالروايات المدسوسة وآراء المستشرقين الاستعمارية المتعصبة، والروايات التى لا تستند إلى حجة أو دليل.

لماذا تريدون أن تفرضوا علينا قيم الغرب وثقافته دون أن يكون لنا حق التعرف على ثقافتنا الإسلامية والالتزام بها، وهى ثقافة منفتحة هاضمة تملك من التسامح والتفاعل ما لا تملكه ثقافة أخرى فى العالم ؟

عندما يدافع المسلمون عن ثقافتهم يوصمون بالإرهاب، واستباحة الدماء.. ويحاول المعتدون على هذه الثقافة أن يلجموا الناس عن الكلام، ويسكتوهم بالقول إنهم مهددون بالموت أو الاغتيال، فى حين أن أحدًا لا يعبأ بهم من الناحية الإنسانية،

لأنهم لا يساوون ثمن مكالمة هاتفية تتناولهم أو تشير إليهم.. إنهم تافهون فكرًا ووجودًا، ولكن قد تستغل بعض الجهات التى تستخدمهم بطريقة ما، والسوابق كثيرة، بدءًا من الشيخ الذهبى ورفعت المحجوب، حتى فرج فودة، والشماعة الجاهزة دائماً هى التطرف الإسلامى والتيار الإسلامى والظلام الإسلامى!

وفى كل الأحوال فإن السلطة مطالبة أن تتبرأ من هؤلاء المثقفين الذين يقدمونها للناس بأنها ضد الإسلام وعدو الثقافة الإسلامية، وأنها تمنح من يقومون بمهمة استئصال الإسلام وتشويهه والطعن فيه جوائزها الرفيعة مكافأة لهم وتقديراً.. ونحن فى انتظار أن تعلن السلطة عن موقفها الحقيقى الذى ينبغى أن يتفق مع الدستور، لأنه لا توجد سلطة فى العالم تحارب الدستور الذى وضعته بيدها.

■ ■ ■

جابر عصفور وخالتي دميانة !

صديقى اللدود جابر عصفور - شفاه الله وعافاه - يحرص فى مجال هجائه للإسلاميين على إدانتهم فى موضوع التمرد الطائفى الذى تقوده الكنيسة، ويذكر دائمًا قصة العلاقة التى كانت تربط بين أسرته وأسرة نصرانية فى مسقط رأسه بالمحلة الكبرى، ويشير إلى الخالة دميانة التى أرضعته صغيراً، وعلاقته بأقرانه من النصارى، وترددهم بين مسجد أبى الفضل الوزيرى، والكنيسة المقابلة له.. والحق أن صديقى اللدود يتجاهل أن الأنبا شنودة زعيم التمرد المعاصر ورئيس دولة الكنيسة السوبر، أرضعته امرأة مسلمة، وكان له أخوة مسلمون من الرضاع، والقصص كثيرة عن العلاقة الطيبة بين المسلمين والنصارى، والمشاركة الدائمة فيما بينهم فى المناسبات السارة والأخرى الحزينة.. حتى بدأ عصر التمرد الطائفى بقيادة الأنبا شنودة فى مطلع السبعينيات، فأشعل النار فى الوطن المهزوم الذى فجعته هزيمة ١٩٦٧ وحولته إلى معرة الأمم، وأتاحت للمتمردين الطائفيين أن يستعيدوا سيرة البشموريين الخونة، من خلال ما يقال عن استقلال مصر القبطية عن الغزاة العرب، وبعث ما يسمى اللغة القبطية وإلغاء اللغة العربية (لغة الغزاة!)، وقد بدأ التمرد بمسيرة الكهنة فى أوائل السبعينيات فى الخانكة شمال القاهرة تضامنًا مع نصارى المنطقة، وتحركهم بما يسمى الروح الاستشهادية، فقد كان الأنبا يودع الكهنة إلى المظاهرة، مطالبًا أن يعودوا سبعين ومائة راهب، بدلا من سبعمائة وألف راهب!

لقد بدأ عصر المواجهة الدموية الذى صنعه زعيم الكنيسة، ولم تصنعه التيارات

الإسلامية على اختلاف تكويناتها وأفكارها، وبدأ عصر الجيتو الذى حول النصارى إلى شعب الكنيسة بدلا من شعب مصر الطيب الذى يواجه المحن بالصبر والسلوان.

ولأن صديقى اللدود يمثل الواجهة الثقافية للدولة البوليسية الفاشية وعتبتها، فإن كلامه يجب أن يؤخذ فى الحسبان بوصفه توجه سلطة تجاه شعبها ومعتقداته، خاصة أن بعض أجنحتها يرى الإسلام خطراً ماثلاً ينبغى التصدى له، وأعلن أكثر من كاتب سلطة ومسئول بأن التيارات الإسلامية أخطر من الغزاة النازيين اليهود!

ومذ تولى صديقى اللدود إدارة تحرير مجلة فصول تحت رئاسة الراحل عز الدين إسماعيل، ثم تعرفه على الوزير الفنان، وصعوده الصاروخى لينتزع رئاسة تحرير فصول من أستاذه، ثم ولايته المجلس الأعلى للثقافة، والمركز القومى للترجمة، وأخيراً بعد المعاش ولاية هذا المركز بدرجة وزير، ثم إثبات ولائه للوزير الفنان إلى درجة أن صار ذراعه اليمين، والشمال أيضاً.. ولأن الحملة فى الصحف والمجلات التى يهيمن عليها كتاب السلطة البوليسية قد اشتعلت ضد الإسلاميين، وخاصة بعد منح جوائز الدولة لليساريين الذين يرون الإسلام ديناً مزوراً مكافأة لهم وتكريمًا، فالواجب الوقوف عند ملامح التمرد الطائفى الذى يرى الإسلام ديناً مزوراً أيضاً، والمسلمين غزاة بدوًا جاءوا من الجزيرة العربية بقيادة سفاح اسمه عمرو بن العاص!؛ ليقتنع الصديق اللدود أو يعلم على الأقل، وآخرون ممن يتبنون التحامل على الإسلاميين وهجاءهم بلا هوادة؛ أن المسألة ليست بناء كنيسة أو الصلاة داخل أحد البيوت أو عدم صدور قانون بناء موحد لدور العبادة، وهو القانون الذى يظنون أنه سيوقف تمرد قيادة الطائفة، ويمنع إصرارها على حرمان الأغلبية الساحقة من التعبير عن إسلامها وتطبيق شريعتها وتعليمها فى المدارس والأزهر.

سوف أكتفي بمثالين قريبين ليدرك صديقى اللدود أن المسألة أكبر من بناء كنيسة أو التعيين فى وظيفة..

المثال الأول كتبه القمص مرقص عزيز خليل- عفوًا الأب يوتا الذى أهان نبى الإسلامﷺ ونقلوه إلى الخدمة الخارجية فى الولايات المتحدة ربما هربًا من مؤاخذته على إجرامه فى حق الإسلام والمسلمين. ومقاله منشور بأحد مواقع الخيانة الطائفية ونشره فى ١٧/ ٧/ ٢٠٠٩م، ويتحدث فيه عن ضرورة إسقاط المادة الثانية من الدستور المصرى حتى لا تكون هناك تفرقة بين المسلمين وغيرهم. لقد شبه المادة الثانية التى تنص على إسلامية الدولة بجدار الفصل العنصرى الذى أقامه الغزاة النازيون اليهود فى فلسطين المحتلة، بل عد المادة الثانية أخطر من هذا الجدار؛ لأن الجدار مادى يمكن أن يزول فى يوم ما، أما المادة الثانية فخطرها معنوى لا يزول بتقادم الأيام، وأنبأنا القمص المتعصب الحاقد على الإسلام وأهله أن الأمم الراقية لا تنص فى دستورها على دين الدولة!

وإنى أسأل هذا القمص المتمرد ما شأنه بالمادة الثانية؟ وهل النصرانية تأمره أن يكون رجل دولة وسياسة؟ ثم من أخبره بأن الدول الراقية لا تنص فى دساتيرها على دينها؟ وإنى أحيله إلى دساتير بريطانيا العظمى واليونان وصربيا وألمانيا، إسبانيا وإيطاليا، وهى لا تكتفى بالنص على دين الدولة بل على مذهب الدولة بين المذاهب النصرانية، ودين رئيس الدولة أيضًا.. ثم أليس من حق الأغلبية الساحقة أن تتبنى الدستور الذى تريد وفقًا للقاعدة الديمقراطية التى تحافظ على حقوق الأقليات؟

وإذا كان مرقص أو يوتا يكذب ويعلن عن تعصبه وتمرده بلا حياء، فهناك الخائن الخسيس الذى يعيش بأموال المخابرات الأميركية فى وكره بواشنطن، يعلن فى مقال بعنوان لماذا الدعوة إلى دولة قبطية؟ ١٨/ ٧/ ٢٠٠٩م؛ تهنئته فى بداية المقال

لدولة الغزو النازى اليهودى بمحو كلمة القدس، وعودتها إلى أورشليم بعد تحريرها من الغزاة العرب ويبارك عودة أورشليم إلى العالم، بعد ١٤٠٠عام، ويتمنى عودة بيت لحم اليهودية أيضا.. ويطالب الطائفى الخائن الخسيس بدوله طائفية عاصمتها الإسكندرية لأن النظام يضطهد النصارى ويحرمهم من حقوق المواطنة!

بالتأكيد فمثل هذه النوعية من الأفكار الإجرامية الطائفية لا تصدر عبثًا عن يوتا والخائن وغيرهما من عملاء المؤسسة الاستعمارية الصليبية التى تقودها الولايات المتحدة، كما أنها ليست بعيدة عن علم الأنبا شنودة ووعيه وهيمنته.

إن تمزيق مصر ليس عملاً هينًا يمكن اختزاله فى الخالة دميانة وبناء الكنائس التى لا يحتاجها النصارى أصلا، وهو ما يلح عليه نفر من الماركسيين السابقين وكثير من اليساريين بصفة عامة ويرونه علامة على اضطهاد مزعوم للأقلية الطائفية فى مصر، ويرتبون عليه ضرورة إلغاء الإسلام وإقصائه بل استئصاله من المدارس والجامعات وأجهزة الدعاية ومؤسسات الثقافة، بل مكافأة من يهينونه ويشوهونه بالجوائز والمناصب والمنافع والشهرة.

إنى أسأل صديقى اللدود: هل توافق على تقسيم مصر؟ هل ترضى باستئصال الإسلام؟ أليس من حق المسلمين أن يعبدوا الله وفق شريعتهم؟ ألا يتساوى الإخوان المسلمون بالبهائيين والماسون وعباد الشيطان؟

إنى أتمنى أن أسمع من صديقى اللدود- شفاه الله وعافاه- رأيا واضحًا فى هذا الأمر، لأنه وهو يقود مثقفى الحظيرة فى وصفهم للإسلام بالإظلام والظلامية والأصولية والرجعية والتخلف والبداوة والإرهاب والعنف والتطرف والجمود لا يمثل نفسه بقدر ما يمثل واجهة دولة بوليسية فاشية مستبدة وعتبتها.. وهو ما يجعل الناس يتساءلون: هل الدولة ضد الإسلام ؟

التربح بالكنيسة !

اهتم صبيان لاظوغلى، وهم فى الوقت نفسه صبيان الكنيسة بالتقرير الأمنى الكاذب عما يسمى التربح من الإخوان، وأضافوا إليه بخيالهم المريض أشياء من عندياتهم طمعاً فى المزيد من المكاسب والمنافع التى يوفرها لهم الهجوم على الإسلام والإخوان والكتاب الذين يرفضون الاستبداد والطوارئ والفساد والفشل الذريع الذى تعيشه السلطة فى كافة المجالات.

نسى الصبيان أن التربح الحقيقى السائد الذى يعلمه الصحفيون وأهل التخصص هو التربح الذى يأتى من جانب السلطة، أى من أموال الشعب البائس الفقير المظلوم، أما التربح الذى يفوق التربح من الحكومة فهو التربح من الكنيسة، حيث إن التربح المادى والمعنوى منها يفوق بمراحل التربح من الإخوان على فرض صحته، ومن أى جهة أخرى.

فالكنيسة منذ بدأ التمرد الطائفى فى أوائل السبعينيات، وهى تعمل بدأب عظيم ودعم أميركى كبير، لما يسمى استقلال الأقباط ومحاربة الإسلام، ومنع تطبيق الشريعة، والقضاء على اللغة العربية، وبعث ما يسمى اللغة القبطية، وتصوير الفتح الإسلامى لمصر بأنه استعمار بدوى متخلف لمصر القبطية المتحضرة، ووضع عمرو ابن العاص فى شكل السفاح الذى أخذ البلاد عنوة، وحارب المسيحية، وكأنه لم يهب المسيحية للنصارى فى مصر، ويؤمن عودة الأنبا بنيامين إلى ديره وممارسة شعائره.. ثم رأينا من يقول: إننا أصحاب البلد.. أى إن النصارى هم أصحاب

البلد وأن المسلمين غرباء يجب أن يخرجوا منها، وحتى ذلك الحين فعليهم أن يكفوا عن إعلان إسلامهم أو التطبيق العملى لشريعتهم، ثم كانت الروح التعصبية الجديدة التى تطارد كل كلام عن الإسلام، وتلوح بالاعتكاف والاستشهاد وتأليب الرأى العام الاستعمارى الصليبى فى الغرب من خلال الخونة الذين يعيشون فى الخارج، مع التشهير المستمر بالإسلام عبر القنوات الفضائية التى يديرها خونة متعصبون، فضلا عن مواقع الخيانة الطائفية على الشبكة الضوئية التى لا تتوقف عن التشهير بالإسلام وعلمائه ودعاته.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل امتد ليعمل داخل الحقل الدعائى الصحفى والتلفزيونى والإذاعى والثقافى فى الداخل، فرأينا صحفًا يملكها مليارديرات ومليونيرات طائفيون متعصبون، ولا تقرأ فيها كلمة واحدة دفاعاً عن الإسلام وأهله، بل إنها تنشر كل ما هو مصادم ومسىء وجارح وقارح أيضا، فى الوقت الذى لا تجد فيه جريدة واحدة أو قناة واحدة أو محطة إذاعة واحدة يملكها مسلمون وتعبر عن إسلامهم، وتدافع عنه، وتشرح مفاهيمه.

ورأينا المال الطائفى يتدفق على صحف بعينها وأحزاب معينة، ورأينا صحفيين يجلسون مثل الأرانب المذعورة فى حضرة قيادات التمرد الطائفى من آباء وقساوسة ومطارنة وغيرهم تعظيمًا لهم وإجلالاً وتقديسًا، مع استئساد وانتفاش غير عادى على علماء الإسلام والأزهر، وتصويرهم فى صور مقززة وحقيرة، وسب الصحابة وشتم علماء الدين، وحظى أبو هريرة رضى الله عنه والإمام البخارى والإمام ابن تيمية بالنصيب الأوفى من الإهانات والشتائم، وقال قائل: إن كتب ابن تيمية يجب أن تلقى فى أقرب زبالة! (هل يستطيع أن يقول ذلك عن أى كتاب نصرانى من مؤلفات قس مغمور؟!)

كتب أحدهم بمناسبة مرور ٥٥ عاماً على جلوس زعيم التمرد الطائفى على كرسى الرهبنة، فوصفه براهب الوطن، وأضفى عليه من الصفات ما يرفعه إلى مقام النبوة، بل مقام الألوهية، أستغفر الله، وفى الوقت نفسه فإن هذا الشخص عاش حياته الصحفية لا يعرف غير هجاء الحركة الإسلامية والإخوان المسلمين خاصة، وإظهار كل من يمت إلى الإسلام بصلة فى صورة الشيطان الرجيم الذى يجب طرده من رحمة الله والسلطة والوطن، والتخلص منه بكل وسيلة ممكنة.

صبى آخر من صبيان الكنيسة يتربح من كل مكان حتى المحررين الصغار، يتربح منهم بأكلة سمك أو توصيلة سيارة أو غير ذلك مما تحتفظ به الملفات المخجلة، لا يكف عن إهانة علماء الأزهر والدين الإسلامى ودعاته؛ فى الوقت الذى يشيد فيه بالمنحرفين الذين يهاجمون الإسلام ويراهم مستنيرين وتقدميين، وتأمل مثلا إهانته لمرشد الإخوان محمد مهدى عاكف ووصفه بالإرهابى! حين يقول عنه:

«يجلس هذا الرجل على نار عندما جاء منذ سنوات مرشدًا عامًّا لجماعة الإخوان المسلمين. لم يتفاءل به أحد وذلك لتاريخه الإرهابى الطويل..» فى الوقت الذى يمتدح فيه امرأة مطلقة تنصرت وتركت الإسلام، ويراها تحمل على كتفيها طاقة هائلة، ويبدى تخوفه عليها من الذين يريدون إرجاعها إلى كتيبة الصامتين، فهو يريدها أن تكون مفكرة ونشيطة وليس شهيدة حتى يرتفع الظلام الذى يعيشه هو وأمثاله على أيدى هؤلاء الذين يعارضون أفكارها ورؤاها!.

ومن المؤكد أن مثل هذه النوعية من صبيان الكنيسة، يمثلون عبئاً حقيقيًّا على الصحافة المصرية التى تمثل دور الرائد فى المنطقة، فهم لا يعبرون عن آراء حقيقية تخصهم، بقدر ما يروجون للغير سعيًا لمكاسب ومنافع، رخيصة أو ثمينة، وهم لا

يؤمنون إلا بالعائد الذى يعود عليهم، ولو أن الأزهر مثلاً أو وزارة الأوقاف أو جماعة الإخوان أغدقت عليهم مثلما تغدق الكنيسة أو جهات أخرى، أو كانت تملك صوتًا مؤثرًا فى تعييناتهم وترقياتهم لانحازوا إليها، بل لو جاء نتينياهو وصار رئيسًا لمجلس الشورى مثلاً، وصار صاحب رأى فى التعيينات والترقيات، لامتدحوه وأغدقوا عليه من الصفات ما يجعله ينتقل من الوضاعة الوحشية إلى الزعامة الإنسانية.

إن بعضهم فى سلوكه الانتهازى الرخيص يأبى إلا أن يميع القضايا القومية الخطيرة، ويسعى إلى كتابة كلام لا يمكن الإمساك به أو تقويمه، بل إن بعضهم أحيانًا ينحرف بهذه القضايا إلى حالة من الشخصنة، تكشف عن وضاعته وخسته ونذالته أكثر مما تكشف عن فكره وقيمه ورؤاه.. ناهيك عما يصدر عنهم من فحش فى القول، وبذاءة فى التعبير، وسفالة فى الأداء.. والعجيب أن بعضهم يلهث ليكون مدرسًا جامعيًّا.. ولا أدرى كيف يصبح أمثال هؤلاء مدرسين جامعيين، وهم يقومون بدور الكلاب الضارية فى حراسة أسيادها؛ دون أن يمتلكوا فضيلة الوفاء التى تتمتع بها الكلاب الحقيقية.. إنهم لا يجدون غضاضة فى الانتقال من سيد إلى سيد، جريًا وراء المنفعة الحرام.

من المؤكد أن التربح من الكنيسة أكثر عائدًا، وأبقى أمدًا، لأنه ينتمى إلى الجهة الأقوى فى البلد؛ التى تدعمها أقوى قوة على ظهر الأرض فى زماننا، وإلا قل لى: لماذا لم يعلق صبيان الكنيسة فى صحف السيراميك والتعرى وغيرها؛ على حديث زعيم التمرد الطائفى لقناة طائفية، كال فيه التهم للشعب المسلم والنظام القائم، ولم يتصد له إلا كاتب محسوب على السلطة فى الأهرام المسائى، لم يستطع أن يذهب بضميره إلى النوم، ولكنه استصرخه ليرد على من أهان الوطن، وادعى ادعاءات غير

صحيحة، ثم يناقش ما يفعله خونة المهجر وإهانتهم للوطن ودين الوطن ورموز الوطن، بل لمن يدافع عنهم ممن يحملون أسماء إسلامية، ويذوبون هوى وعشقًا فى الكنيسة، وزعماء الكنيسة.

من المؤكد أن صبيان الكنيسة ولاظوغلى فى صحف السيراميك والتعرى والصحف الموالية للحرس القديم، يقومون بدور مرسوم لهم فى هجاء الإسلام والتشهير بعلمائه ودعاته، ولكنهم يظلون فى كل الأحوال صبيانًا، لا قيمة لهم بجوار معلميهم الكبار، لأن ثمنهم معروف!

■ ■ ■

إشعال الحرائق .. والصواب الجماعي

يبدو أننا فى حالة تزوير عامة وتخليط كبير يشيعهما مثقفو الحظيرة خدمة للدولة البوليسية الفاشية، وهذه الحالة تبدأ بترويج مقولات غير صحيحة تتحدث عن الحضارة الإسلامية حديثاً ملتوياً، بحجة البحث عن المستقبل، وإيهام الناس أن الفكر الإسلامى الصحيح الذى يعتمد على الثوابت يقف حجر عثرة فى سبيل تقدم البلاد والعباد.. من ذلك مقولة : إن الإجماع هو سبب بلاء هذه الأمة، وأن حضارتنا الإسلامية ترفض الخروج على الإجماع، وهذا سبب تخلفها وسر عثرتها التاريخية على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان!

قال المزور سيد القمنى فى مقدمة كتابه الحزب الهاشمى: إن الأمة ظلت أربعة عشر قرنًا من الزمان تتثاءب، وهى محلك سر! أى إنها لم تتحرك ولم تعمل ولم تنتج ولم تبدع، وطبعًا كل ذلك بسبب تمسكها بالإسلام، فتخلفت وتراجعت وصارت قصعة الأمم، ولا يعلم المزور الذى كرمته السلطة البوليسية بأرفع جوائزها؛ أن الأمة الإسلامية، استطاعت بالإسلام، أن تكون الدولة الأولى فى العالم بعد أن حطمت وحشية الإمبراطوريتين: الفارسية والرومانية، وكان خليفة المسلمين يعلِّم الهمج الهامج من الوفود الأوروبية القادمة إلى بغداد كيف يتعلمون الاستحمام ..ولكن ماذا نقول فى رغبة المزورين الشاذة فى طمس التاريخ الإسلامى والتقاط نفاياته وحدها؟

مشكلة هذا الفهم القاصر تكمن فى عدم قراءة الفكر الإسلامى فى مجموعه

الأعم قراءة علمية سليمة، وقياسه على النظريات الوضعية التى وضعها البشر من الفلاسفة والمفكرين.. فلا يمكن أن يكون الإسلام موضع مقارنة مع الماركسية أو الوجودية أو الديكارتية أو الحداثة أو ما بعد الحداثة أو غيرها من نظريات ومناهج، أنتجها الغرب ليعالج بها قصوراً فى حياته الروحية والحضارية، ذلك أن الإسلام وحى من عند الله جاء بأوامر قاطعة ونواهٍ ملزمة، فعندما يقرر الوحى وجوب الصلاة على المسلمين البالغين رجالاً ونساءً مثلا، فلا يجوز الخروج على هذا الأمر الإلهى، الذى قبلته الأمة وأجمعت على وجوبه، لأنه صار ثابتاً ومعلوماً من الدين بالضرورة، والخروج هنا أو رفض الصلاة يعنى هدم ركن من أركان الدين لا يمكن الترحيب به أو الموافقة عليه لأنه لن يجلب تقدمًا، ولا يصنع مستقبلاً طيباً للأمة.. وهذا الإجماع الذى اتفقت عليه الأمة لا ينفى أن هناك العشرات من المذاهب الإسلامية اتفقت واختلفت حول طبيعة أركان الصلاة وسننها ومستحباتها ومبطلاتها، ولدى الأمة تراث ضخم فى دائرة الاختلاف الذى تفاوت هدفه بين الرغبة فى الورع، والحرص على التيسير على الناس، بل إن بعض المذاهب لم تستنكف أن تغير آراءها بتغير المكان والزمان كما نجد لدى الإمام الشافعى رضى الله عنه.

ثم إن الخروج عن الإجماع بمعنى وحدة المسلمين هو الذى حذر منه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والإجماع هو ما يسميه الناس الآن بالوحدة الوطنية أو وحدة البلاد، وبالطبع فإن الخروج على هذه الوحدة يستوجب التصدى له، ومقاومة الخارجين إلى حد شن القتال والحرب حرصاً على الوحدة والسلامة الوطنية.. ومن هنا كان القرآن الكريم حريصا على توجيه الأمة إلى الوحدة وعدم الفرقة : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفى الحديث

الشريف: «يد الله مع الجماعة».. هذا هو الإجماع الذى حرصت عليه الأمة، ونادت به، بل حرص عليه غير المسلمين من الأمم الأخرى، وفى أوروبا الآن خير مثال على ذلك، حيث يسعى الأوروبيون إلى توحيد القارة بأسرها على اختلاف أديانها ومذاهبها وعناصرها سعيًا لخلافة أوروبية شاملة !

إن حرص كتُّاب السلطة البوليسية الفاشية على هدم الثوابت، ونفى ما هو معلوم من الدين بالضرورة يعنى أنهم يريدون استئصال الإسلام لحساب جهات شيطانية لا تعرف حق الاختلاف، ولا حرية الفكر، وحق التعبير الحر، والخروج على الإجماع خروج على الثوابت بلا جدال، لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة كما علمنا البشير النذير ﷺ ولا أدرى.

■ ■ ■

أبو الفتوح : طبعة جديدة !

عقب رحيل الرئيس السادات رأيت عبد المنعم أبو الفتوح لأول مرة فى مقر مجلة الدعوة، كان عائداً لتوه من حفلة التعذيب التى ذاق سياطها على يد الجلادين المتوحشين مع أبناء التيار الإسلامى الذين قبض عليهم فى سبتمبر ١٩٨١م ومعهم رموز الأمة وزعماء أطيافها المختلف، كان بقايا هيكل إنسانى بعد العذاب الذى مارسه الجبروت المجرم ضد أبناء الوطن المعارضين لاتفاقية الإذعان فى كامب ديفيد ١٩٧٧م، كان رئيس وزراء العدو فى الجانب المعادى يستثمر المعارضة لفرض مزيد من شروط الإذعان والإذلال على الجانب المصرى، وكان هذا الجانب يجد فى تصفية المعارضة واستئصال التيار الإسلامى، وتأسيس جيش الأمن المركزى لقمع الوطن وإخماده حتى يرضى الصهاينة القتلة وسادتهم فى واشنطن وما هم براضين ولا قانعين.

كان عبد المنعم من زعماء الطلبة فى السبعينيات، وفى لقاء بين الرئيس السادات رحمه الله، واتحادات الطلاب، قام طالب الطب عبد المنعم أبو الفتوح وسأل الرئيس عن المنافقين الذى يستشيرهم ويستمع إليهم، غضب الرئيس غضباً شديداً، ورأى أن الطالب تجاوز حدوده مع رئيس الدولة، ونقل التلفزيون فى حينه رد الطالب المؤدب الذى استمسك بشجاعته وحاول إقناع الرئيس الذى لم يقتنع.

خرج عبد المنعم إلى الحياة العامة وتعرض للاعتقال والمحاكمة، وكان المعتقل حضانته التى تؤويه بتهم سياسية، أضافوا إليها مؤخراً تهمًا جنائية مثل غسيل الأموال والمشاركة فى تنظيم دولى.. ولكن عبد المنعم لما يزل يواجه المحن بصبر

المؤمن وإيمان الصابر المحتسب، وهو يعلم أن جريمته الأولى تمسكه بالإسلام منهجاً وشريعة، ونظاماً ومسيرة، وفقهًا وعملاً، ويعلم أن جريمته فى الفترة الأخيرة مقاومة الحصار النازى اليهودى المفروض على الشعب الفلسطيبى فى غزة، وإغاثة المنكوبين فى كل مكان بدءًا من ضحايا الزلزال والدويقة إلى ضحايا الإجرام الصليبى فى العراق وأفغانستان. ثم وهو الأهم تقديم نفسه للمجتمع فى صورة المسلم العريق المتفتح الذى يتفاعل مع الآخرين أيًا كانت رؤاهم وتصوراتهم، وإقناعهم بعظمة الإسلام، وإنسانيته ورحابته وسماحته.

ومن المفارقات أنه فى الوقت الذى يغيب فيه عبد المنعم بهيكله داخل البوابات الغليظة السوداء، يخرج طالب طب آخر من مجاهل الدلتا، ليعيد سيرة عبد المنعم، ويواجه رئيس الوزراء المصرى بأسئلة محرجة، تناقش الواقع المتردى الذى تعيشه مصر، ويواجه بشجاعة مماثلة لشجاعة الطالب عبد المنعم- مع الفارق- رئيس الوزراء الذى يرى أن الدنيا ربيع والجو بديع، ولا مجال لحديث إلا عن الإنجازات العظيمة فى وطن يفتقر إلى توفير رغيف خبز يليق بالآدميين، ويتاح الحصول عليه دون قتال وتضييع أفضل ساعات النشاط اليومية والحيوية للمواطن المصرى؛ يقفها فى الطوابير منذ الفجر حتى العاشرة صباحاً أو ما بعدها..

كان الطالب عبد الله بظاظو من مواليد دسوق بكفر الشيخ ١٩٨٩م، ضمن الشباب الذى التقى بهم رئيس الوزراء فى معسكر الشباب فى بور سعيد يوم الاثنين الموافق ٢/ ٨/ ٢٠٠٩م، وكالعادة فى مثل هذه اللقاءات يتم مسبقاً تحديد الأسئلة التى توجه إلى رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية، ويزاد عليها بالنسبة للقاء الأخير أن يتم التدريب على الإلقاء فى تجارب عديدة تسبق طرح السؤال بالإضافة إلى صياغة الأسئلة صياغة إنشائية مطولة تعتمد الصور البديعية والبيانية، يقوم الطالب

بحفظها جيداً وترديدها مرات عديدة حتى لا تفلت منه كلمة، ثم يدخل إلى مجال التجريب قبل رؤية الرئيس.

ويبدو أن الأمر بالنسبة لرئيس الوزراء كان أيسر وأبسط قليلاً مع أن الطلاب يتجمعون قبل موعد اللقاء بساعات يتلقون تعليمات الأساتذة المشرفين، وأجهزة الأمن وموظفى الجامعة والمعنيين باللقاءات بصفة عامة.

بيد أن الطالب خالف السؤال الذى كان سيوجهه إلى رئيس الوزراء، وهتف فى مواجهته: «الفساد فى كل مكان فى مصر!».

كانت هذه الجملة هى الشرارة التى أطلقت عقال التصفيق من مكمنه، وتشجع الطالب الذى يحرص فى أحاديثه الصحفية والتليفزيونية على الإعلان أنه لا ينتمى إلى حزب أو تنظيم أو جماعة، وكأن الانتماء إلى الحزب الحاكم هو الحلال الوحيد المسموح به فى مصر التعيسة.. وناقش رئيس الوزراء الذى لم ينفعل فى أثناء اللقاء، وبدا متقبلاً للحوار ببساطة، وإن كان فيما بعد أعلن عن غضبه وسخطه على ما قاله الطالب..

لقد قال بظاظو: ذكرت «نظيف» بواقعة بكاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقوله : إذا تعثرت دابة فى العراق فسوف يسأل الله عنها عمر، ثم سأله مباشرة: هل بكيت عندما سمعت عن غرق أكثر من ألف مصرى فى عبارة ممدوح إسماعيل..؟

وهل تبكى على من يلقون مصرعهم بالجملة فى حوادث قطارات السكة الحديد والطرق أو حتى الجنود على الحدود المصرية؟

وفى أحاديثه للصحف والقنوات التليفزيونية أبدى بظاظو دهشته من عدد من ردود رئيس الوزراء على الأسئلة خاصة حين قال : إن الاقتصاد المصرى «فايق» جدًّا لأننا حضارة بناها المصريون القدماء من ٧ آلاف سنة، وحين قال: إن الغاز الطبيعى كنا بنحرقه زمان لأنه كان مخلوطاً مع البترول والآن مع التطور الصناعى

أصبح عنصراً رئيسيًّا فى الطاقة ونستفيد اقتصاديًّا من تصديره لأى دولة حتى وإن كانت إسرائيل وليس لنا علاقة بالسياسة، فنحن نحقق من تصدير الغاز لإسرائيل دخلاً قومياً للبلاد، ولا داعى للكلام الفاضى(؟) عما يسمى التطبيع مع إسرائيل، ويكفى أن أى رئيس وزراء يتم انتخابه فى إسرائيل لابد أن يزور مبارك ليعلم العالم كله أنه ذو ثقل سياسى لأنه زار مصر ذات الثقل السياسى بالمنطقة.

وقوله عن قضية القمح : «مافيش حاجة اسمها قمح فاسد وهذا كلام الخبراء، ولكن ثلث الكمية المستوردة تحتاج إلى تنقية فقط».

بالطبع فإن دهشة الطالب فى محلها، فأجوبة رئيس الوزراء بعيدة عن التفكير السياسى الصحيح، وتمثل حالة من عدم الوعى بظروف الوطن وطبيعة واقعه ومستقبله وما يجرى فيه، ولكن المهم فى المسألة أن الطالب يعرف شيئًا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويتألم لمصير الغرقى فى عبارة الهارب إلى لندن الذى تدافع عنه أبواق حكومية وطبول مأجورة؛ دون أن تبكى على الضحايا البائسين فى بلاد الغربة والعذاب الذين يمدون الفراعين فى الحزب الحاكم بعرقهم وكدهم.

الطالب بظاظو يذكر من يستأصلون الإسلام ويطاردونه أنه- أى الإسلام- ما زال حيًّا فى ضمائر المصريين حتى لو لم يجدوه فى المدرسة والتلفزيون وثقافة الحظيرة. هو فى القلوب والصدور بفهم أو غير فهم، لأنه لا يموت برغبة الجلادين والطغاة!

قد يختفى هذا الطالب فى غمرة الحياة، أو ينسى واجبه تحت الترهيب والترغيب، ولكن طبعة أخرى جديدة من عبد المنعم أبو الفتوح، تدفع الثمن غالياً، برضا وطيب نفس، تظهر فى الأفق وتذكر الناس أن الشعب المصرى المسلم لا يستكين ولا يستسلم للمؤسسة الاستعمارية الصليبية وقاعدتها الصهيونية، ولكنه يستخدم قدرته على الصبر والامتصاص فى تحمل المحن والآلام؛ حتى يأذن الله بالفرج.

مأساة الأزهر !

يتصور بعض الناس أن الأزهر الشريف صار ملكية خاصة لهم، ولا يجوز لغيرهم أن يناقشهم فيما يفعلونه به حتى لو أدى إلى تدميره وتشويه سمعته وظلم بعض أبنائه! وقد شهد الأزهر فى السنوات الماضية بعض الأحداث المؤسفة أساءت إلى تاريخه، وقللت من هيبته، وأزرت بمكانته، منها على سبيل المثال: اختصار سنوات الدراسة بالمرحلة الثانوية مما ترتب عليه تخفيض المناهج الدراسية المتعلقة بالشريعة والعقيدة واللغة لحساب المناهج الدراسية المتعلقة بالمواد الأخرى التى يدرسها طلاب التعليم العلمانى، مما يعنى أن الطالب الأزهرى لا تميز له فى علوم الدين أو اللغة، وإذا عرفنا أن المسئولين بالأزهر أتبعوا ذلك الأمر بإلغاء فقه المذاهب، ثم إلغاء بعض الكتب الأساسية فى التفسير مثل تفسير النسفى وإحلال كتب سطحية مكانه، فإن مستوى الطالب الأزهرى يتدنى إلى درك سحيق! وتبين للناس بعدئذ أن المقصود من وراء إلغاء المذاهب وبعض الكتب الأساسية هو المنفعة المادية التى تتمثل فى إحلال مؤلفات بعض المسئولين فى الأزهر محل الكتب الأساسية.. وهى منفعة رخيصة على كل حال، إذا قيست بالخسارة الفادحة التى يخسرها الطالب الأزهرى، والسمعة التى ينحدر إليها الأزهر ذاته!

ثم كانت الفاجعة الكبرى باستقبال الأزهر الشريف للحاخام اليهودى «لاو» وسفير اليهود فى مصر داخل رحاب مشيخة الأزهر، ومع الاستنكار الشعبى الذى عم مصر وأرجاء العالم الإسلامى لتدنيس الأقدام اليهودية للساحة الطاهرة، فقد

خرج بعض المسئولين فى الأزهر الشريف ليسبوا الناس ويلعنوهم، ويصفوهم بالمرتزقة «وأولاد الكلب» لأنهم عارضوا جريمة بشعة فى حق الإسلام والمسلمين والأزهر جميعاً. فقد كانت عملية الاستقبال للحاخام والسفير اعترافاً ضمنياً بالاستيلاء على أرض الإسلام، وضياع القدس الشريف، ومباركة للقتلة السفاحين فيما اقترفت أيديهم ضد أمتنا على مدى قرن من الزمان !

وقد ظن الناس أن المأساة توقفت عند هذا الحد، ولكن تجلياتها امتدت فى اتجاهات أخرى، ولعل أبرزها فى الفترة الأخيرة زيارة شيخ الأزهر ومدير جامعته الأرض المحتلة فى فلسطين بتأشيرة يهودية، وقبل هذه الزيارة فُصِلَ عالم أزهرى فاضل جهر بكلمة الحق خوفاً من غضب الله، وحرصاً على مستقبل الأزهر وتاريخه فى آن.

لقد دعا رئيس سلطة الحكم الإدارى الذاتى المحدود فى الضفة والقطاع شيخ الأزهر ومدير جامعته لحضور بعض الاحتفالات، وكان أن لبى الاثنان الزيارة. ودخلا أرض فلسطين المحتلة تحت مظلة العلم اليهودى، دون أن يراعيا مشاعر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، ودون أن يدركا أثر هذا السلوك على نفوس المسلمين، وخاصة فى شهر رمضان المبارك، ودون أن يفكرا فى مدلول الزيارة بالنسبة للمستعمرين اليهود، وعدها دعماً لهم من أكبر هيئة علمية إسلامية فى العالم، تعينهم على استمرار اغتصاب الأرض وممارسة القهر والإذلال لأمة محمد ﷺ.

إن رئيس سلطة الحكم الإدارى الذاتى المحدود فى الضفة والقطاع، لا يملك من أمره شيئاً، وتوجهه سلطة الاستعمار اليهودى مباشرة أو بالريموت كنترول، ليحقق لها ما تريد، وقد تنازل لها عن القضية بأجمعها بما فيها القدس وعودة اللاجئين الفلسطينين.. وقبل أن يكون مجرد خفير نظامى يهوى بهراوته على رءوس شعبه

الفلسطيني وخاصة من المجاهدين الذين يفهمون كيف يقنعون العدو بأنه مستعمر وغاصب ومصيره إلى الرحيل عاجلاً أو آجلاً؛ فكيف يذهب إليه رئيس أكبر هيئة علمية إسلامية فى العالم ليقره على ما ذهب إليه، ويبارك تنازلاته عن القضية والمقدسات؟

فى الوقت الذى يرفض فيه الأنبا شنودة، بطريرك النصارى الارثوزكس، دعوة رئيس سلطة الحكم الإدارى الذاتى المحدود لزيارة بيت لحم وحضور احتفالات عيد الميلاد، لأنها ما زالت تحت السيطرة اليهودية؛ إذا بشيخ الأزهر ومدير جامعته يشدان الرحال إلى فلسطين المغتصبة ضاربين عرض الحائط بالمشاعر والدلالات والمقدسات.. هل هذا يجوز؟ اللهم إننا نبرأ إليك من الرضا أو الموافقة أو الصمت على هذه الزيارة المؤذية !!

وقبل أن يتوجه الشيخ والمدير إلى غزة المقهورة، ينتقمان من فضيلة الشيخ إبراهيم الخولى، العالم الجليل، ويصدر مجلس التأديب المكون من أنصارهما قراراً بعزل الرجل من وظيفته الجامعية، لأنه تجرأ وأصدر بياناً إلى الأمة يرفض فيه استقبال الأزهر- ممثلاً فى شيخه- للمجرم اليهودى الحاخام «لاو» ومن معه! إلى هذا الحد وصل الانتقام البشع من شيخ أزهرى شريف آثر ما عند الله، فأصدر بيانه إلى الأمة رافضاً، ومعلنًا أن الأزهر ما زال حصن الأمة القوى الذى يدفع عنها جرائم اليهود والصليبيين جميعاً، وأنه ما زال السد المنيع الذى يقف فى وجه العربدة الاستعمارية وتجلياتها الشريرة!

كيف يمكن أن يتسق هذا الأمر مع تاريخ الأزهر، وماضى شيوخه العظام الذين كانوا دائماً وأبداً، فى صف المقاومة الشعبية لغارات المستعمرين والظالمين؟ كيف يمكن أن يقبل ذو ضمير حى أن يعزل رجل عن وظيفته جهر بكلمة حق، ودافع

عن الأزهر، القلعة العتيدة، كى لا تسقط من عيون محبيها وأعدائها على السواء؟ لعنة الله على حب الدنيا ومتاعها الزائل؟

إن إبراهيم الخولى؛ لن يموت جوعاً، ولن ينتهى ذكره لأنه عزل من وظيفة أستاذ النقد والبلاغة بجامعة الأزهر، ولكن التاريخ سيسجل اسمه فى صفحة من نور، يشير فيها إلى تاريخ رجل قام بفرض كفاية، بل بفرض عين فى زمن الالتباس والتدليس، وشرح للأمة حقيقة ما يراد بها، ورفض الانصياع لتيار الاستسلام وموالاة أعداء الله، وسوف يجزيه الخالق جل وعلا خير الجزاء. وتبقى مأساة الأزهر تستنجد بأصحاب المروءة والشهامة من أبنائه وغيرهم؛ لإنقاذه من الدمار والخراب وسوء السمعة، والله من وراء القصد.

■ ■ ■

صفحة مضيئة من صفحات الأزهر الشريف (١)

أحاول - بمشيئة الله - أن أضيف فى السطور التالية بعض الإضافة إلى ما كتبه أخى الأستاذ مجدى أحمد حسين، حول شيوخ الأزهر العظام، مستوحياً جانباً مما كتبه والده المجاهد: أحمد حسين، رحمه الله عليه، وكنت أود أن أخصص هذه الكلمة لفضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق، لولا أن فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود- رضى الله عنه- يفرض نفسه لاستكمال بعض الجوانب التى تكشف عن معدن أصيل لواحد من رجالات الأزهر، الذين كانت غايتهم الأولى والأخيرة إرضاء رب الناس، قبل إرضاء الناس.

عاد الشيخ عبد الحليم محمود من فرنسا، بعد أن درس فى السوربون علم الفلسفة والثقافة الأوروبية ليعمل مدرساً فى كلية أصول الدين بالجامع الأزهر، وكان يرتدى الزى الأفرنجى الأنيق، وسمع فى المساء رئيس الدولة يخطب فى الشعب، ويذكر أن علماء الأزهر على استعداد لإصدار الفتاوى المطلوبة، المخالفة لصحيح الدين، نظير أوزة! وأراد دارس السوربون أن يثبت العكس، وأن يقول على الملأ : إن هناك شرفاء أوفياء لله ورسوله، قبل أن يكونوا أوفياء للسلطة والشرطة، وفوجئ الطلاب والأساتذة بشيخ معمم، كأنهم لم يروه من قبل، يدخل قاعات الدرس بزيه الأزهرى الأصيل، وعندما سألوه عن سر تحوله: أخبرهم أنه يرد على خطبة رئيس الدولة !

ولو عاش الشيخ عبد الحليم إلى زماننا لرأى من يتطوع بالفتوى دون مقابل من

أوزة أو دجاجة، ولكن كى يرضى عنه أصحاب السلطان والصولجان!

كان أفق الشيخ عبد الحليم محمود- رحمه الله- واسعاً، تهمه قضية الإسلام ونشر العقيدة الصحيحة، فلم يعبأ بمقولات من اتهموه بالصوفية أو الدروشة، لأن اتجاهه كان تربوياً سلوكيًّا، وتصوفه كان قائماً على الزهادة فيما أيدى الناس وما عند السلطان، فقد كان يطلب ما عند الله.. ويروى من اقتربوا منه أنه كان يتسلم راتبه الشهرى فلا يدخل بيته المتواضع فى حدائق القبة، إلا وقد وزعه على الأسر المحتاجة فى المنطقة، مكتفياً بما تدره عليه بعض الأفدنة التى يمتلكها بقريته فى محافظة الشرقية.

تأمل هذا بمن يريقون ماء وجوههم فى المؤتمرات والمهرجانات العربية والمحلية، ومحطات التلفزيون الفضائية والأرضية نظير حصولهم على بعض الدولارات أو الدراهم أو الريالات، وتناسوا عفة النفس التى حض عليها الإسلام، وكرامة العالم المسلم التى لا تهون مهما انحطت به الحال !

الشيخ عبد الحليم محمود، عندما تولى مشيخة الأزهر، أضاف للمنصب، وتمرد على الإهانة التى ألحقها القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بوظيفة الإمام الأكبر، ولزم بيته مستقيلاً ثلاث مرات؛ وذهب إليه كبار رجال الدولة يسترضونه ليعود إلى مكتبه، وكان الحصاد أن تعدل وضع الشيخ فى البروتوكول الرسمى، وصار منصب وزير شئون الأزهر مرتبطاً برئيس الوزراء مباشرة.

أين هذا من المتهالكين على المناصب والدرجات الوظيفية، وعلى استعداد أن يفعلوا كل ما يطلب منهم فى سبيلها، بل إنهم لا ينتظرون الطلب، ولكنهم يرقبون اتجاه الريح ليتطوعوا بفعل المطلوب فى سرعة، ودون استدعاء!

ذات مرة، بدا للسادات- رحمه الله- أن يوحد مناهج التربية الدينية فى المدارس،

فأعلن ذلك فى لقاء حضره كبار رجال الدولة وعلماء الدين الإسلامى ورجال الدين المسيحى، وكان من رأى السادات أن تقتصر المناهج على النواحى الخلقية والسلوكية، مما يعنى حذف ما يتعلق بالقرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامى بما فيه السيرة النبوية، وأخذ المنافقون يطبلون للموضوع ويزمرون، ولكن الشيخ- رحمه الله- لم يوافق، وأصدر بياناً يعلن فيه رفضه لما يريده رئيس الدولة، وامتنعت الصحف عن نشر البيان، صحيفة شهرية هى التى نشرته (مجلة الاعتصام- رد الله غربتها)، ونزل الشيخ من مكتبه بنفسه ليشترى خمسين نسخة من باعة الصحف، ويقدم نسخة لكل زائر يطلب رأيه فى الموضوع سواء كان مسئولاً أو صحفيًّا، أو عالمًا، أو غيره..

أرأيتم رجال الأزهر الحقيقيين الذين باعوا الدنيا واشتروا الآخرة؟ أرأيتم الأبطال الحقيقيين الذين لا يعلنون عن بطولاتهم فى سبيل الإسلام، ولكن التاريخ هو الذى يعلنها ؟ أين هؤلاء من المتهافتين الذين يظنون أن آلهتهم البشرية خير وأبقى ؟

كان الشيخ عبد الحليم محمود من أصحاب العقليات الأزهرية المبدعة، وكانت قضية الإسلام هى ما يشغله، وقد رأى فى عهده أن آثار القانون الشيطانى الذى عرف بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١، قد أخذت تؤتى ثمارها الشريرة، فقد أخذ الأزهر يمثل هرماً مقلوباً قاعدته إلى أعلى وتمثلها كليات عديدة تكتظ بالطلاب المفرغين من العلم والقرآن، وقمته إلى أسفل، وتمثلها المعاهد الأزهرية الإعدادية التى خلت من الطلاب إلا قليلاً، وصارت قاعاتها خلاءً صفصفًا! وكانت خطة الشيخ تقوم على محورين:

الأول : بناء المعاهد الابتدائية التى تقوم مقام الكتاتيب فى تخريج من يلتحقون

بالمعاهد الإعدادية والثانوية، ويحفظ فيها الطفل القرآن الكريم كله، ويتهيأ بالقراءة والكتابة والمعارف الأولية لمواصلة التعليم الأزهرى، وقد حفز الجمهور على إلحاق أبنائهم بهذه المعاهد (التى يعرفها الناس باسم مدارس تحفيظ القرآن الكريم) وذلك برصد مكافآت شهرية رمزية، ولكنها تغرى الفقراء خاصة.. ثم رغب الناس فى بناء المعاهد الابتدائية، معلناً أنه سيضمها إلى الأزهر عقب إقامة الجدران، وسيعين من يبذلون التبرعات الكبيرة فى وظائف مناسبة.

وقد نفذ وعده، فضم جميع المعاهد التى بناها المواطنون، وتحقق حلمه بزرع هذه المعاهد فى قرى مصر شمالاً وجنوباً، وعين أصحاب التبرعات الكبيرة من طالبى الوظائف. ولم يفعل مثل آخرين، أحبطوا الناس، وخذلوهم، وأخرجوهم من العمل بعد أن عملوا شهوراً طويلة أو سنوات بلا أجر، وانتظروا التعيين، فكان نصيبهم عرض الطريق تحت دعاوى متهافتة !

المحور الآخر: يتمثل فى ملء الفراغ الذى أحدثه هروب الطلاب، وخاصة من المعاهد الثانوية، بعد أن ثقلت المناهج الثقافية، وأعجزت الدارسين، ففتح الشيخ- رحمه الله- المجال لطلاب التعليم العام، ولما عوتب فى ذلك أعلن أنه أراد أن ينتشل هؤلاء الطلاب من عرض الطريق أولاً، وإتاحة الفرصة لمن يفتح الله عليه منهم أن يواصل تعليمه ثانياً، وأن يملأ الفراغ الذى جرى بسبب القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ أخيراً، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً !

أين هذا ممن يمنعون الناس من التوجه نحو الأزهر ومعاهد- الابتدائية خاصة- بسبب زيادة يوم عن ثمانى سنوات، أو نقصان يوم عن ست سنوات؟ ولماذا لا يقتدون بالتعليم العام الذى يتسامح فى ثلاثة شهور قبل وبعد عملاً بحكاية المساواة التى يلهجون بها ؟

لقد كان الشيخ عبد الحليم محمود- رحمه الله- مثالاً للداعية الذى لا يخاف فى الله لومة لائم، فلم يخش سطوة العلمانيين أو الشيوعيين، ودار فى المدن والقرى يخطب لتأصيل قيم الإسلام فى النفوس، ويبين محاسن الشريعة الإسلامية، ويوضح لعامة الناس مقاصد الدين فى الأوامر والنواهى، وفضح المذاهب المادية، ووضعها تحت المجهر ليكشف فسادها وقصورها، وتأثرها بالتخطيط اليهودى اللئيم لإفساد العالم، ونشر القيم الهابطة، وإخضاع المجتمعات للمفاهيم التربوية الاستغلالية... وظل حتى رحيله إلى الرفيق الأعلى يكافح التغريب والعلمنة، ولم يأبه للحملات التى شنها الماركسيون واللادينيون ضده، فقد كان يتمثل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ .

لو رأى – رضى الله عنه- من باعوا دينهم ليقال عنهم : إنهم مستنيرون (هل يعرفون معنى الاستنارة؟)، ولو رآهم وهم يحللون الحرام، ويبيحون ربا الجاهلية المعروف الآن باسم فوائد البنوك، ويوافقون على مسابقات ملكات الجمال التى تسمى بمسابقات الفتاة المثالية، ويقابلون الصليبيين الاستعماريين الأشرار من أمثال سفير صربيا المجرمة، وقادة الغرب الصليبى، وحاخامات اليهود القتلة الغاصبين لأرضنا وقدسنا ومقدساتنا.. لو رأى – رحمه الله- ذلك، لأنكرنا، وأنكر زماننا، وهو الذى لم يألُ جهداً فى مكافحة الفكر الشرير، والدعوة إلى جهاد الغاصبين.

إن الحديث ذو شجون، ولكن تكفينا هذه السطور الآن حول صفحة مضيئة من صفحات الأزهر الشريف، وواحد من رجالاته العظام الذين خلفوا عطراً ربانيًّا يدل عليهم إلى يوم الدين.

■ ■ ■

صفحة مضيئة من صفحات الأزهر الشريف (٢)

كانت إشارة الأستاذ مجدى أحمد حسين إلى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق، فى ختام مقاله؛ سريعة وعابرة، مع أن الرجل يستحق الكثير وخاصة فى الظروف التى تولى فيها المشيخة، ولكن عذر أخى مجدى أن مقاله الطويل لم يتسع للإسهاب بعد أن وقف أمام الشيخ عبد الحليم محمود بما استهلك مساحة كبيرة، فضلاً عن قضايا أخرى كان المقال يركز عليها أساساً.

وقد جاء الشيخ جاد الحق إلى مشيخة الأزهر من دار الإفتاء التابعة لوزارة العدل، والرجل من خريجى مدرسة القضاء الشرعى، ولعل هذا كان من وراء عدم ترحيب بعض الأزهريين به ليكون شيخاً للأزهر، ولكنه أثبت فيما بعد أنه كان أكثر حرصاً على الأزهر وكرامته من بعضهم؛ رحمه الله.

أذكر أن الرجل تعرض لهجوم شعبى كاسح، بسبب مشاركته فى قانون الأحوال الشخصية الذى نسبه الناس إلى حرم الرئيس الراحل أنور السادات، وكنت ممن شاركوا فى رفض هذا القانون بما كتبته فى حينه على صفحات «الاعتصام»- رد الله غربتها- وبينت أن الذين وضعوا القانون اعتمدوا على أقوال فقهية مرجوحة وضعيفة، وأن القانون ستكون له آثار مدمرة على كيان الأسرة المسلمة فى مصر، وهو ما بدا بعدئذ فى حوارات عديدة نشرتها الصحف، وعبرت عنها أفلام وتمثيليات فى السينما والتلفزيون.. وأشهد أن الرجل وهو يدافع عن القانون مع آخرين، كان عف اللسان، مهذباً، لم يجرح أحداً، ولم يتهم أحداً بالجبن أو الارتزاق،

ولم يسبه فى عرضه أو شرفه، بل كان يدافع دفاع الفقيه العالم الذى يقارع الحجة بالحجة والدليل بالدليل.. وقد انتهى الأمر بتعديل القانون.

وقد تولى الشيخ المشيخة فى ظروف غير مواتية له، فقد كانت هناك جهة أخرى تصدر الفتاوى المناقضة لفتاواه، بل تتعمد هذه الجهة أن تكون فتاواها مؤيدة للسلطة على طول الخط، وقد فتحت هذه الجهة أبوابها أمام أعداء الإسلام والمسلمين واستقبلتهم فى الوقت الذى كان فيه هؤلاء الأعداء يكسرون عظام المسلمين فى فلسطين المحتلة ويهدمون بيوتهم، ويرحِّلون من يغضبون عليه إلى خارج الحدود ليعيش فى العراء تحت الثلج والمطر والعواصف !

وقد استغل العلمانيون والذين فى قلوبهم مرض ما تفعله هذه الجهة فراحوا ينفخون فى نار الفتنة، ويحملون على الشيخ الصابر القابض على الجمر، ويطرحون المسألة من خلال تصور إلحادى خبيث، فيقولون: إن هذه الجهة التى تصدر الفتاوى بلا ضوابط جهة مستنيرة وضد التطرف والإرهاب. أما شيخ الأزهر (ومؤسسته الدينية!) فيمثل الجمود والرجعية والكهنوت وتشجيع التطرف والإرهاب ؟! ألا ساء ما يأفكون!

لم يعبأ الرجل بالحملات الموجهة ضده، ولم يقابلها بالسب أو القذف، ولكنه التزم بأخلاق الإسلام، وتابع سيره فى الارتقاء بالأزهر الشريف وتعزيز مكانته فى حدود ما يملكه أو المتاح، واهتم بتحفيظ القرآن الكريم، وخصص مكافآت لحفظته- ومع قلة هذه المكافآت- إلا أنها كانت رمزاً لاهتمامه ومتابعته، وبالتأكيد فلو كان تحت يديه ما يرفع مكافآت الطلاب والمحفظين لفعل.

فى الوقت ذاته، تابع مسيرة الشيخ عبد الحليم محمود فى تشجيع الأهالى على بناء المعاهد الابتدائية والإعدادية، ووفر لهم الدعم الممكن، وعين أصحاب التبرعات

الكبيرة من العمال والمدرسين ولم يتنكر لوعد قطعه شيخ سابق.

وفى سيرة الشيخ جاد الحق على جاد الحق، تظهر نقاط مضيئة عديدة، تدل على شجاعة المسلم والتزامه بأصول دينه، لا يخاف ترهيباً، ولا يحب ترغيباً.

ومن أبرز هذه النقاط موقفه من العدو اليهودى الغاصب فى فلسطين، وهو موقف صريح لا يساوم ولا يناور، فقد أعلن مراراً وتكراراً عن وجوب تحرير القدس وضرورة الجهاد لتحرير الأرض المحتلة، وأدان العمليات الإرهابية اليهودية ضد الشعب الفلسطينى بأوضح العبارات وأقسى الألفاظ.. وقد حاول اليهود فى عهده دخول الأزهر ومقابلته، ولكنه رفض بإباء المسلم وشجاعة المؤمن.. كيف يقابل قتلة مجرمين وهو رمز الإسلام والمسلمين على امتداد المعمورة؟ لقد رغب السفاح اليهودى «وايزمان» رئيس الكيان اليهودى الغاصب أن يقابله، فبحثت عنه الأجهزة المسئولة يوماً كاملاً فى أرجاء القاهرة، ولم يعثروا للشيخ على أثر، وفهم السفاح اليهودى الرسالة، وعرف أن الشيخ لن يقابله مهما كانت الظروف! وكان موقفه رسالة صامتة ولكنها ناطقة بحقيقة الشعور الإسلامى تجاه القتلة الغاصبين.

وكان موقف الشيخ- رحمه الله- من مأساة البوسنة والهرسك، يليق بإمام المسلمين حقًّا. فالرجل لا يملك سلطة سياسية أو عسكرية، ولكنه أصدر أقوى البيانات ضد العدو الصليبى الصربى الذى يقوم بإبادة المسلمين المدنيين الأبرياء، ودعا المسلمين فى شتى أرجاء الأرض لمساعدة مسلمى البوسنة والهرسك، وتقديم كل ما يملكون من طاقات مادية ومعنوية لوقف المذابح التى تجرى لهم، ومساعدتهم على مواجهة المأساة، ثم أرسل وفداً يمثل الأزهر لمشاركتهم محنتهم ومواساتهم، وأصدر مع مجلة الأزهر كتاباً يعرف بالبوسنيين ويشرح ما يتعرضون له

من عدوان وحشى تجاوز المواثيق والأعراف والأخلاق.

وعندما صدرت فتاوى غير مسئولة تبيح ربا البنوك، تصدى لها بقوة، وكانت مجلة الأزهر - المنبر الوحيد الذى يستطيع ارتقاءه- مجالاً لعرض آراء العلماء والفقهاء فى هذه القضية الخطيرة، التى روجت لها بعض الصحف الحكومية، وأصدرت المجلة مع بعض أعدادها ملاحق تشرح وجهة نظر الفقهاء من هيئة كبار العلماء وأعضاء مجمع البحوث، وقد دحض التدليس الذى لجأ إليه البعض حين صور الفائدة البنكية عقداً بين مودع المال والبنك، يدفع البنك بمقتضاه ربحاً ثابتاً لصاحب المال، ونسى المدلسون أن البنك الربوى لا يأخذ المال ليستثمره، ولكن ليقرضه مرة أخرى بفائدة مركبة باهظة، والفارق بين الفائدتين فائدة الإيداع وفائدة الإقراض هو ربح البنك !

لقد كان الشيخ جاد الحق، رحمه الله، واعياً للمؤامرات التى تحاك ضد الإسلام والمسلمين، ويوم بدأ الغرب الصليبى يصف الإسلام بالتطرف والمسلمين بالإرهاب، تصدى الرجل للمؤامرة، وحين سئل فى المؤتمرات الصحفية عن التطرف والإرهاب وعلاقتهما بالإسلام نفى ذلك بشدة، ولم يتورط فى إدانة أحد بالتطرف والإرهاب، وقال : إن القضاء هو الذى يحكم بأيهما، وليس من حق أحد أن يدين أحداً لاختلاف الآراء بينهما.

ولأن فريقاً من أعداء الإسلام لم يعجبهم تمسك الشيخ بالإسلام وضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، فقد شنوا عليه حملات ضارية، وصلت أو هبطت إلى درك سحيق من الإسفاف والانحطاط، لدرجة أن كاتبًا شيوعيًّا سخر منه، وقال: إننا سنطبق عليك- يقصد شيخ الأزهر- حد الجلد، وسنرى لحمك السمين تحت السياط... إلخ ما قاله الشيوعى الوقح من كلام مقزز رخيص!

وعندما أخذت بعض الجهات تغذى حملة ضد الرجل والأزهر بعامة، تحت دعوى الجمود والظلامية، لم يهتز الشيخ جاد الحق، ولكنه ثبت راسخاً كالطود الشامخ يجاهد فى صلابة وهدوء وصبر، وللحق والتاريخ صارت مجلة الأزهر فى عهده قلعة من قلاع الدفاع عن الدين واللغة والأخلاق، وللإنصاف، فإنه لم يستغلها للدعاية لنفسه، بل استغلها لشرح مفاهيم العقيدة والشريعة.

كان الشيخ جاد الحق رجلاً بسيطًا سمحاً، يسكن فى شقة متواضعة، فى عمارة متواضعة، فى دور مرتفع يصل إليه على السلالم العادية، لأنه لا يوجد فى العمارة مصعد، وكان مكتبه عبارة عن كرسى عادى ومنضدة بسيطة فى غرفة متواضعة الأثاث.. ولما تقدمت به السن وظهرت عليه علائم الوهن، تطوع الشيخ الشعراوى، رحمه الله، وتنازل له عن الشقة التى يستأجرها فى «جاردن سيتى»، ولكن العمر لم يطل به كى ينتقل إليها، فلبى نداء ربه راضيًّا مرضياً- إن شاء الله- على النحو الذى عرفه الناس فيه.

رحم الله الشيخ جاد الحق رحمة واسعة وأنزله منازل الأبرار والصالحين.

■ ■ ■

صفحة مضيئة من صفحات الأزهر الشريف (٣)

يحار المرء أمام فضيلة إمام الدعاة الشيخ «محمد متولى الشعراوى»- أى الجوانب يتناول؟ أسلوبه أم منهجه؟ سلوكه أم مواقفه؟ طبيعته الإنسانية أم علمه الدينى؟ فالرجل موسوعة إسلامية شاملة. أثرت فى مئات الملايين على امتداد المعمورة، وربطتهم بالشعراوى الإنسان والداعية والمعلم والفقيه والمفسر والأديب والشاعر، فى بساطة متناهية، وأصالة عميقة، ولأن ما أكتبه فى هذه الصفحة وحفزنى عليه مقال الأستاذ مجدى أحمد حسين، يتعلق بالمواقف العامة ومواجهتها، فسأحاول التركيز على هذه الناحية لدى الشيخ الجليل رحمه الله.

لم يؤلف الشعراوى كتباً، ولم يمسك قلماً ليكتب، وإنما هو متحدث بارع بليغ يشد الأسماع والأبصار، ويستولى على القلوب والأفئدة، بما يملكه من علم وبصر وبصيرة، وقدرة على تقريب المسائل المعقدة إلى رجل الشارع، وشرح عويص المسائل الفكرية، بل واللغوية، فى بساطة متناهية تيسر لمن يتتبعه أن يفهم ما يقول، ويفقه ما يتناول.

أما كتبه التى يراها الناس فى السوق، أو يعلن عنها الناشرون، فهى تفريغ لأحاديثه، ونسخ لأقواله وآرائه، وقد أجازها بعد الاطلاع عليها وقراءتها، وهناك من فرغ ونسخ دون إذن أو إجازة أو رضا عنه، وهذه غير محسوبة عليه أو له.

عرف الناس الإمام الشعراوى عبر برنامج التلفزيون الذى قدمه الإذاعى اللامع «أحمد فراج» المسمى «نور على نور»؛ فتعلقوا به فى كل مكان، ثم كان ارتباطهم

الوثيق به من خلال تفسيره أو خواطره حول القرآن الكريم، ومع أن بعض الجهات حاولت أن تطفئ الرجل والبرنامج معاً إلا أن أمر الله الغالب، جعل الناس يتحولون إلى الشيخ وبرنامجه فى الأوقات التى ظنتها هذه الجهات ميتة، فصارت حية بفضل الله ونعمائه.

كان الشيخ فى خواطره وفى ثناياها يعالج عرضاً، أو يربط ما يفسره بالأحداث العامة الجارية، أو القضايا التى تشغل الناس فى زمانهم؛ فكشف قصور المذاهب الوضعية ودعاوى الاستشراق، ومماحكات العلمانيين، وصحح كثيراً من المفاهيم المغلوطة، وأقنع الكثيرين بصواب التشريع الإسلامى ورفقه ورحمته بالعباد، مما أزعج قوى الشر العالمية فسخرت خدامها فى بعض أجهزة الدعاية للنيل من الرجل وشخصه، ولكنها – بفضل الله- أخفقت إخفاقاً ذريعاً، وحصدت الحصرم المسموم!

نشأ الشيخ الشعراوى وتكون فى بيئة إسلامية تفرق بين الحلال والحرام، وكان ابناً بارًّا من أبناء الأزهر الشريف الذين تربوا على حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف، واستوعبوا اللغة العربية وآدابها، حق صار عالماً من علماء الإسلام بحق.. وكانت الفترة التى تخرج فيها- العقد الثالث القرن العشرين- فترة حافلة، بالجهاد ضد المستعمر الصليبى الإنجليزى، وبقيادة الأزهر لهذا الجهاد ومشاركة العديد من الأحزاب فى الثورة ضد الاحتلال، وكان للشعراوى الطالب والمعلم دوره البارز فى قيادة المظاهرات ونظم القصائد المحرضة على التمرد ضد الأعداء، ودخل السجن، وخرج، وواصل دوره حتى استغرقته الحياة العملية بالتدريس داخل البلاد وخارجها، فكان عنواناً على الذكاء والتفتح والوعى والدفاع عن العقيدة والشريعة وإفحام الخصوم ونصح الرؤساء والكبراء الذين استجابوا له بعدما

أصغوا إليه واقتنعوا بما يقول.

فى فترة توليه الوزارة، فى عهد الرئيس السادات، ثار اللغط حول الشيخ بسبب أقوال لم يحاول البعض فهمها بدقة، أو أوَّلها البعض بما يشفى نفسه من الرجل، وكانت هنالك مواقف وآراء تستدعى مراجعته بالفعل، وأذكر أننى كتبت تعليقاً حولها فى «الاعتصام» - رد الله غربتها - وقد اعترف الرجل فيها بعد، أنها -أى فترة الوزارة- كانت من أسوأ فترات حياته.. بيد أنى أراه قد أنجز فيها إنجازاً كبيراً لم يلتفت إليه أحد من الكتاب، وهو اقتلاع أكبر مركز من مراكز القوى التى كانت تدير وزارة الأوقاف، وكان هذا المركز مخيفاً ومرعباً، يخشاه الكبار قبل الصغار، لأن صاحب المركز كان زميلاً لسامى شرف مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر، وكان يستمد قوته الجبارة من هذه العلاقة ومهمات أخرى كان يكلف بها. جاء الشعراوى ليقتلع هذا المركز بفضل الله، وليكشف فساده وتغلغل جذوره التى وصلت إلى كل صغيرة وكبيرة فى الوزارة.. ولو لم يفعل الشعراوى شيئاً غير خلع هذا الفساد المتجذر لكفاه فخراً وشرفاً، ولكنه فى وزارة الأوقاف بدأ فى تفجير قضية أخرى خطيرة، وهى الأوقاف المنهوبة، ولو أنه استمر فى الوزارة وقتاً أطول، لكان من الممكن أن يصل إلى الحيتان الكبار الذين التهموا أموال المسلمين ونعموا بها ولم يسائلهم أحد حتى الآن!

بعد الوزارة رفض الشعراوى أن يتولى أى منصب، وارتدى الطاقية البيضاء بدلاً من العمامة حتى لا يطلبونه لمشيخة الأزهر. اكتفى بدوره فى مخاطبة الناس عبر الإذاعة والتلفزيون يوضح المفاهيم ويشرح المقاصد ويؤصل لروح الإسلام المستهدفة من أشرار العالم الصليبى اليهودى!

بالإضافة إلى ذلك، كان يقوم بدور مهم وخطير للغاية، وهو إطفاء الفتن وتهدئة

الخواطر أيام العنف والعنف المضاد، لم يكن موقداً للنار كما يفعل بعضهم (خاطب بعضهم رئيس السادات قائلاً: إنهم يكفروننى يا سيادة الرئيس! ولم يقل له : إنهم أبناؤك فحاورهم واشرح لهم واعف عنهم ليئد الفتنة، ولكنه- أى هذا البعض- كان يسعى إلى لفتة ومنفعة!)

ظهر الشعراوى فى الأيام الصعبة وتحرك مع آخرين سرًّا، ليضعوا حدًّا لسفك الدماء وقتل الأبرياء، وكان بذكائه وإلهامه يركز على الهدف الأساسى والغاية الأولى، وهى إعزاز الإسلام وتطبيق شريعته، وكان يردد مستخدماً قدرته اللغوية قوله الشهير: «نريد أن نُحْكَم بالإسلام لا أن نَحْكُم بالإسلام» أو يقول :«احكمونا بالإسلام» لينفى شبهة الطمع فى المنصب أو الكرسى من جانب دعاة تطبيق الشريعة، ولينزع من جانب الحاكم ما يوغر صدره على دعاة الإسلام. لقد كان بحق يقوم بدور الإطفائى الذى يواجه الحريق بعقل وذكاء ووعى، دون أن يلقى إلى النار مزيد من الوقود أو الضحايا!

يذكر التاريخ أن مفتى الإسلام فى الدولة العثمانية «علاء الدين على بن أحمد الجمالى» الذى تولى مشيخة الإسلام على عهد السلطان بايزيد والسلطان سليم والسلطان سليمان القانونى، واجه السلطان سليم أكثر من مرة، وكان معروفاً بدمويته وقتل من أمامه لأبسط الأمور، وألقى الله هيبة الشيخ فى قلبه، فكان يخضع له ويستجيب لطلبه، لأنه أفهمه أن وظيفة المفتى هى المحافظة على آخرة السلطان، كما أن وظيفة الطبيب المحافظة على صحته.. وكان الشيخ علاء الدين – ذات مرة- قد رأى وهو يودع السلطان سليم إلى مدينة أدرنة، أربعمائة رجل مشدودين بالحبال، يسوقهم الجند، فسأل عن حالهم، فقالوا: إنهم خالفوا أمر السلطان، فحكم عليهم بالقتل.

فذهب المفتى إلى السلطان فلقيه وهو راكب، فقال له على ملأ من الناس: هؤلاء لا يحل قتلهم. فقال السلطان: أيها الشيخ إلى متى تتدخل فى أمور السلطنة؟ الزم حدك، واشتغل بوظيفتك ! أما لك وظيفة تقتصر عليها؟ أما لك عمل تعمله؟ قال الشيخ : هذه وظيفتى وهذا عملى، فإن سمعت نجوت، وإلا لقيت ملكاً هو أقدر عليك منك عليهم. وأدار عنق رايته ومشى بلا تسليم، فاحمر وجه السلطان، وكاد يتفجر منه الدم، ووقف على فرسه صامتاً مدة طويلة، وهو فى غضب لم يغضب مثله، والناس كلهم خائفون، سكوت، لو ألقيت إبرة على التراب لسمع صوتها. ثم مشى فى طريقه وأمر بالعفو عن القوم (راجع : على الطنطاوى، رجال من التاريخ، ١/ ١٤٠ وما بعدها).

هذه قصة واحدة من القصص التى واجه بها عالم الإسلام طاغية جباراً لم يسلم منه إخوته الذين خنقهم لما خشى أن يزاحموه على الملك، وقتل سبعة عشر من أهل بيته، وسبعة من وزرائه!

الشعراوى تحلى بالشجاعة مع الذكاء فى أمور خطيرة؛ فقد تصدى لإسهال الفتاوى الغلط التى تطوع بها البعض فى أمور تمس حياة الملايين، ورفض نقل الأعضاء لأنه يقوم على القتل، ورفض الربا، وكانت آخر موافقة دفاعه عن الأزهر ضد المخربين الذين ماتت ضمائرهم، وأعلن أنه سيجاهد من أجل إعادته إلى مهمته الأصلية وطبيعته الأساسية، وكشف عن الآثار المدمرة للقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١، الذى خرب الأزهر، وجعل من خريجيه نمطاً قاصراً عن فقه الدين والدنيا جميعاً!!

رحم الله الشعراوى، فقد كان صفحة مضيئة من الأزهر المضىء.. وهدى الله الذين يحاولون إطفاء الأزهر وإظلامه وتحويله إلى مجرد مدرسة ممسوخة لا دين فيها ولا علم.

صفحة مضيئة من صفحات الأزهر الشريف (٤)

أعترف أننى وقفت أمام شخصية الشيخ «محمد الغزالى»- رحمه الله- حائراً متهيباً، لا أدرى كيف أدخل إلى عالمه الفكرى والأدبى والدعوى. مضى عام ونصف عام، وأنا أتأهب للكتابة عنه، بعد أن جمعت المادة العلمية الخاصة بدراسة طويلة حوله.. صحيح أن ظروفاً أخرى أسهمت فى خلق الرهبة والحيرة وبعضها يعود إلى أحوالى الصحية غير المستقرة، ولكن «الغزالى» كان شاغلى وموضع اهتمامى الوجدانى والنفسى والروحى ولم يزل.. فالغزالى ظاهرة فريدة أنبتها الإسلام ورعاها الأزهر وأشعلها الجهاد.

ما أكتبه الآن لا يجب ما أنوى كتابته عنه مستقبلاً، ولكنه هامش يأتى فى إطار الحديث عن الصفحة المضيئة من صفحات الأزهر الشريف، ورجاله الأفذاذ الذين كانت غايتهم هى الله، وكانت حياتهم خدمة الإسلام، وكان قدرهم مواجهة القهر والاستبداد!

ولأمر ما شاء الله أن تكون المسافة بين قرية «نكلا العنب» ومدينة «شبراخيت» بمحافظة البحيرة؛ عدة كيلو مترات، وهى مسافة قصيرة ولد على جانبها فى زمنين متقاربين نسبيًّا، رجلان من أبناء الأزهر، كان لهما شأن فى حياة مصر والعرب والمسلمين، الأول كان «محمد الغزالى السقا»، والآخر كان «عبد الحميد كشك»، وكلاهما ملأ الدنيا وشغل الناس، على تفاوت فى الطريقة والأسلوب، والعمر والظروف.

مذ كان طالباً، فإن الغزالى ارتقى المنابر، وظهرت عناصر شخصيته القوية المهيبة، التى تؤثر فى الجمهور، بثقافة أصيلة، ووعى بالأحداث، وطلاقة بيان، وحسن

عرض، ووضوح منهج، وكان انتسابه للإخوان وهو طالب عام ١٩٣٧ طفرة نقلته إلى قلب الأحداث اليومية والسياسية، وجعلت منه لساناً ناطقاً بروح إسلامية جديدة تتلبس الوجدان الشعبى، وتسعى إلى نهضة شاملة، ومواجهة عامة مع التخلف والقهر والفقر والاحتلال، وهو ما دعا الإمام الشهيد أن يصفه بأديب الدعوة، ودفع بالسلطات إلى اعتقاله مرتين، الأولى عام ١٩٤٩ حيث قضى فترة فى معتقل الطور بجنوب سيناء، والأخرى بسجن طرة بعد الثورة طوال فترة التحقيق مع سيد قطب وإخوانه.

طوال عمل الشيخ فى الأوقاف والأزهر، كانت الكلمة سلاحه، وهى كلمة متميزة؛ لأنها كلمة متوضئة وخالصة لوجه الله، وكانت كلمته المنطوقة على المنابر وأمام الجمهور، تلقى مساندة من كلمته المكتوبة عبر المجلات الإسلامية والصحف اليومية، والكتب المؤلفة، واشتهر منها كتابه «من هنا نعلم» رداً على صديقه وصنوه «خالد محمد خالد»، الذى فاجأ الناس وأثارهم بكتابه الأشهر «من هنا نبدأ».. وكان للشيخ حضور فى القضايا الاجتماعية، يترقب الناس رأيه، وينتظرون كلامه، حتى كان موقفه من موضوع المرأة فى المؤتمر الوطنى عام ١٩٦٢ الذى أنتج «الميثاق».. يومئذ ظهرت جماهيريته، حينما خرجت الجماهير تعبر عن مساندتها له فى مواجهة الصحف والرسامين الذين سخروا منه وهاجموه..

سافر الشيخ إلى خارج البلاد، يعمل ويعلِّم، فى جامعات أم القرى وقطر والجزائر، ويؤصل للإسلام فى مناطق عطشى للفهم الصحيح والقيم الرفيعة، فكان له تأثير كبير على كثيرين بدءاً من رجل الشارع إلى النخب الحاكمة.. ومن المفارقات أن بعض العلمانيين يرون فيه سبباً لما يحدث فى الجزائر الآن (؟) لا لسبب إلا لأنه أنشأ الجامعة الإسلامية هناك، وأقنع الحكام بالتصالح مع الإسلام! ويا له من اتهام

يشرف صاحبه ويشرف أمثاله أن تتحقق المصالحة مع الله ومع منهج الله.

وعندما عاد إلى الوطن ارتقى منبر عمرو بن العاص، وتحول المسجد الخرب إلى خلية نحل تغص بعشرات الألوف من المصلين، يؤمونه كل يوم جمعة، ليستمعوا إلى الشيخ وهو يعالج قضايا المجتمع بأسلوبه البليغ وبيانه الفصيح، ويبث فيهم روح الاعتزاز بدينهم وشريعتهم، ويبين لهم الطريق إلى الاستقامة والصلاح والفلاح.. ولكن القوم لم يعجبهم أن يتجمع الناس حول شيخ أعزل، يعطونه مودتهم وحبهم وثقتهم، فوجد الشيخ نفسه على حصير فى ركن من أركان مسجد صلاح الدين، ما غضب وما اهتز، ولكنه جلس على الحصير يكتب ويؤلف وينشر فكره وعلمه على الناس، وكان لا مفر أمام هذه العزلة من الخروج والبعد عن الوطن، وسمع رئيس الدولة يتحدث عنه فى خطبة عامة، وهو فى مكة المكرمة، فنشر بياناً شجاعاً وجريئاً، نشرته مجلة الاعتصام- رد الله غربتها- فى افتتاحيتها (عدد ربيع الأول ١٣٩٧هـ- مارس ١٩٧٧)، شرح فيه ما تعرض له من عصف واتهامات، رد عليها ردًّا منطقيًّا بسيطاً، فيه عزة المؤمن، وشجاعة المجاهد، وزهد العابد، وهذا البيان تلخيص لشخصية الرجل الذى لا يخاف فى الله لومة لائم، ولا يساوم على دينه بكل كنوز الدنيا، وقد تمنيت أن أنشر هذا البيان أجمعه لولا ضيق المساحة، فهو رسالة حية لمن فرطوا فى دينهم، كى يثوبوا إلى رشدهم، ويدركوا أنه لا يبقى من عالم الدين، ومن الناس عامة، إلا الموقف والسلوك والرأى، فإما أن يرتفع صاحبه- كما الشيخ الغزالى- أو يهبط إلى درك سحيق- كما بعضهم من عشاق الدنيا والسلطان- يقول الغزالى فى بيانه الذى نشرته «الاعتصام» تحت عنوان «إيضاح من الشيخ محمد الغزالى»:

«آخر ما قمت به فى القاهرة دفاعى عن قوانين الأسرة الإسلامية فى كلمة مسجلة عامرة بالإقناع والإحصاءات والأدلة الدامغة.. ولكن المسئولين الذين استمعوا

إليها تناولونى بالسوء، واعتبرونى مسئولاً عن المظاهرة التى خرجت من الأزهر إلى مجلس الشعب لإجهاض القانون المقترح من وزارة الشئون بهذا الصدد...».

«نتيجة للحيلولة بينى وبين السيد رئيس الجمهورية تم إبعادى عن منصبى (المدير العام للدعوة) وعن إلقائى الخطبة فى مسجد عمرو بن العاص، وعن رميي فى «سندرة» مسجد صلاح الدين بلا عمل ولا كرامة لولا أننى أعتز بعزة الله.. ثم قال للصحف: إن ما حدث يرجع إلى صلتى بقضية الفنية العسكرية.. وبديهى أنه لا يوجد ما يربطنى بهذه القضايا وأمثالها.. ولكن إبعادى عن الدعوة كان غرضاً مبيتاً لا لشىء إلا لأنى رفضت التفريط فى حقائق الإسلام وشرائعه».

«وفى عام ١٩٧٥ أفضيت بحديث إلى «مجلة الاعتصام» قلت فيه: إننى مستعد للتضحية بمرتبى الكبير فى الجامعة السعودية وبمنصبى العلمى بها إذا عدت للعمل فى مسجد عمرو بن العاص وإلى توجيه الدعوة بوزارة الأوقاف- أى عملى الأول- ... فنشروا فى الصحف (يقصد المسئولين) كلاماً سقيماً عن المال الذى آخذه فى السعودية، وهم يعلمون أنى عرضت التنازل عنه كتابة، وأن البحث عن المال لم يشغلنى فى شبابى فكيف يشغلنى الآن عن واجباتى؟ وردى عليهم «حسبنا الله ونعم الوكيل».

«إننى أصارح المسئولين بأن الحفاظ على الشريعة الإسلامية هدف لا تنساه جماهير المؤمنين.. ومنها شرائع الأسر الإسلامية التى يحاول بعض الناس اقتلاعها.. والتى حاولوا أن يثيروا السيد رئيس الجمهورية علىَّ من أجل دفاعى الشديد عنها.. ولكنى آمل أن يحتضن سيادته فكرة الحفاظ عليها بما يرضى الله ورسوله».

«وأخيراً أعلن أننى سأنسى ما وجه إلىَّ فى مصر داعياً لهم أن يوفقوا فى جعل مصر الإسلامية تؤدى دورها التاريخى فى رد العدوان وحماية الإيمان».

ولا شك أن الشيخ الغزالى فى شجاعته وصلابته تحدث عما لحق به من أذى، وأعلن إصراره على موقفه الراسخ فى الدفاع عن قيم الإسلام وشريعته، وذكر المسئولين (وهو يقصد بهم رئيس الدولة) بأن الحفاظ على الشريعة الإسلامية هدف لا تنساه جماهير المؤمنين.. بل ألقى الكرة فى ملعب الرئيس حين طلب منه أن يقوم بنفسه بالمحافظة على الشربعة بما يرضى الله ورسوله.

إن العمامة التى ارتداها الغزالى كانت لها هيبتها وسلطانها الذى يفوق هيبة كثيرين وسلطانهم، لأنها أدت واجبها بصبر وشجاعة وإيمان وتضحية.. ولسنا فى حاجة إلى أن نقارن عمامة الغزالى، بعمائم أخرى نسيت واجبها الإسلامى، وانشغلت بالمناصب والمغانم حتى لو كان انشغالها على حساب الدين والعقيدة !!

لقد خاض الغزالى معاركه العديدة ضد الشيوعيين والعلمانيين والمنحرفين، وسلط عليهم شواظ قلمه وفكره ليدحض دعاواهم، وينسف مزاعمهم، ويؤكد على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.. وفى كتبه التى تزيد على الخمسين، يجد فيها القارئ محارباً لم يسترح حتى آخر لحظات حياته، ومجاهداً لم يتعب ضد أعداء الدين والوطن والأمة.

لقد حارب ضد الظلم الاجتماعى وضد الفقر وضد الجهل، ووقف موقفاً صريحاً من أدعياء الدين، وأصحاب الفهم القاصر الذين يشكلون خطراً على الإسلام أكثر من خصومه الصرحاء، وفى الوقت نفسه كان رحب الصدر، كبير القلب، لا يحمل ضغينة لأحد، ولا يحقد على مخلوق، ولا يخاصم إلا فى الله.

رحم الله الشيخ الغزالى، فقد كان مدرسة، تلاميذها على امتداد العالم الإسلامى، يستضيئون بفكره وعلمه، وينهلون من ينابيع عطائه وجهده، ويؤكدون أن نجوم المجتمع الحقيقيين هم علماء الدين ورجال الدعوة.. ألسنة الحق فى كل زمان ومكان.

انهيار التعليم بين الكتاتيب .. والإرهاب !

لا يريد المسئولون عن التعليم فى بلادنا الاعتراف بانهيار التعليم وتدهوره وغلاء أسعاره إلى درجة طالت معظم الأسر المصرية الفقيرة والمتوسطة فضلاً عن الغنية، وإذا تحدث أحد فى شئون التعليم وتجليات انهياره، رفعوا فى وجهه لافتة «أمنية» توحى بأنهم «وزارة داخلية» موازية، وليسوا «خبراء» فى التربية يرتقون بأساليب التوصيل العلمى ويرتفعون بمستويات التحصيل الدراسى فى ظل إمكانات هائلة وفرتها لهم الدولة، تقرب من خمسة عشر ملياراً من الجنيهات، تقتطع من دم المصريين ولحومهم!

إن العمل الأمنى من اختصاص وزارة واحدة هى وزارة الداخلية، وهى تعرف «دبة النملة» فيما يخص المجال السياسى، وخاصة إذا كان متعلقاً بالإسلام، فلماذا نغفل انهيار التعليم على أيدى المسئولين عنه، ونفاخر بالإنجازات الأمنية مثل محاربة الحجاب فى المدارس، ونقل المدرسين المتدينين بالآلاف إلى أعمال إدارية بحجة أنهم إرهابيون، والزعم بأن هناك من يرفض تحية العلم الوطنى؟ هل عاد «كمال أتاتورك» إلى بلادنا ليخلصها من الإسلام بعد أن خلصها من اللغة العربية وأرغم الناس على لبس القبعة؟ وهل يتصور المسئولون فى «وزارة التعليم أو المؤسسة التعليمية»- كما يسميها بعض الأعوان وكأن الجامعة ليست مؤسسة تعليمية؟ إن المصريين (مسلمين ونصارى) سوف يسلمون باستئصال الدين من دنياهم وحياتهم وتعليمهم؟ لا أظن فالشعب المصرى قيادة ومجتمعاً، شعب متدين، يعرف ربه،

ويؤمن بالآخرة، ولا يقبل عملية «التتريك» التى يسعى إليها بعضهم خطوة خطوة تحت لافتات الانفتاح على الآخر، والأخذ بالتكنولوجيا، ومحاربة الإرهاب. فالانفتاح على الآخر لا يعنى الذوبان فيه وتقليده تقليد القردة، والأخذ بالتكنولوجيا ليس هو «الكمبيوتر» الذى يوضع فى المخازن وعليه أقفال عديدة خوف ضياع العهدة، ودرجته فى كل الأحوال لا تضاف إلى المجموع، ومحاربة الإرهاب لا تقتضى إلغاء الإسلام فى مناهج التعليم ونقل المدرسين المتعلمين وتخريج أجيال لا تعرف شيئاً عن دينها ولا علاقة لها بالضمير.. إن تعليمًا فى مصر بلا ضمير لهو تأصيل للبلطجة والإجرام وفقدان الوطنية، وهو ما نرى تجلياته بوضوح فى أكثر من صورة، وصفحات الحوادث فى الجرائد اليومية تعطينا فى هذا السياق دلالات خطيرة ومرعبة!

لقد وصف البعض العودة إلى الكتاتيب فى سن الطفولة بأنها دعوة إلى الإرهاب (!!)، واستشهد بما قاله «طه حسين» فى «الأيام» حول الصورة الفصامية لسيدنا والعريف فى الكتاب. وهل «سيدنا» طه حسين «وعريفه» هما «سيدنا» و«عريف» محمد عبده، ولطفى السيد والعقاد والرافعى وطلعت حرب وأم كلثوم وفيروز ومحمد حسين هيكل والعديد من عظماء النصارى ليس أولهم «مكرم عبيد» ولا آخرهم ؟

إن العودة إلى الكتاتيب وسيلة عملية للارتقاء باللغة العربية، وزرع الضمير الإنسانى الحى فى نفوس الأبناء بعد أن حرمتهم «المؤسسة التعليمية» من التعرف على دينهم، وقامت باستئصاله عملياً من مناهج الدراسة. ولا يقولن أحد إن هناك منهجاً للتربية الدينية وامتحاناً يعقد للطلاب فى هذا المنهج، فلماذا تنكر الواقع؟ وأقرر أن هناك منهجاً، وهناك امتحاناً، ولكن الأمر مجرد شكل على الورق فقط،

فمادة التربية الدينية ذات الدرجات الخمسين، التى لا يتم النجاح فيها إلا إذا حصل الطالب على نصفها- أى ٥٠٪- لا يتلفت إليها الطالب ولا المدرس، فالطالب يعلم أنها لا تضاف إلى المجموع، وأنه ناجح فيها سواء استوعبها أو لم يستوعبها، وراجعوا نتائج امتحانات التربية الدينية على كافة المستويات لن تجدوا فيها راسباً واحداً، فكل ما يكتبه الطالب فى هذه المادة يؤهله للنجاح، لأن الممتحنين لا يهتمون إلا بالمادة التى تضاف للمجموع، وصارت التربية الدينية مثلها مثل الكمبيوتر والمجالات الزراعية والصناعية لا قيمة لها لأنها لا تضاف إلى المجموع، فلا يهتم بها أحد.

حدثنى أحد المدرسين وكان يلاحظ أو يراقب فى امتحانات الثانوية العامة قال : إن الطلاب لم يهتموا بأخذ كتب التربية الدينية بعد انتهاء الامتحانات، وتركوها فى الصالات وعلى الأسوار، وقد تأملتها- يقول المدرس: فوجدتها جديدة وسليمة ونظيفة، أى إنها لم تفتح إلا ليلة الامتحان أو صباح يومه ! أى إن الطالب لم يستفد منها أدنى فائدة!

أما بالنسبة للمعلم فإنه يتنازل عمليًّا عن حصة التربية الدينية لزميل له يدرس مادة أخرى، من المواد التى تضاف إلى المجموع، أو يسمح بها لزميله الذى يقوم بالتدريس فى مجموعات التقوية حتى لا يتأخر إلى ما بعد انتهاء اليوم المدرسى!

وهكذا، فإن المؤسسة التعليمية تقوم بدور خطير فى صنع إرهاب أكبر وأعظم، هو إرهاب البلطجة وموت الضمير لدى الأجيال الجديدة مما يؤدى إلى تخريب المجتمع بأسره، بعد أن استؤصلت التربية الدينين عمليًّا من حياته.

إن العودة إلى الكتاتيب ليست عودة إلى الوراء، ولكنها فى ظل انهيار التعليم، انطلاقة إلى الأمام، وهى أيضاً لا تعنى التفافاً حول «المؤسسة التعليمية»، ولكنها

جبر لقصورها وتقصيرها، بعد أن تم الالتفاف حولها من خلال «التعليم الموازى» أو ما يعرف بالدروس الخصوصية التى ازدهرت وانتعشت، فى ظل «المؤسسة التعليمية» الحالية وقيادتها الثورية، إلى الحد الذى صارت فيه الإعلانات عن الدروس الخصوصية تظهر فى الصفحات الأولى للصحف القومية وعلى مساحات عريضة وبارزة!

ترى ما رأى «الخبراء» التربويين فى الفارق بين التعليم فى عهد الكتاتيب، والتعليم فى عهد «المؤسسة التعليمية»؟ وهل ما زالوا يصرون على أن الكتاتيب تخرج إرهابيين ؟

■ ■ ■

إنسانية العلمانيين ؟!

قالت الأنباء: إن سيدة تركية مريضة نقلت إلى إحدى مستشفيات إستانبول فى تركيا، لعلاجها وإسعافها، ولكن إدارة المستشفى رفضت أن تسعفها مما أدى إلى وفاتها! سبب الرفض الذى أعلنته المستشفى أن السيدة المريضة كانت ترتدى الحجاب، ولأن النظام العلمانى التركى يرى أن الحجاب رمز من رموز التخلف والرجعية (أى الإسلام ؟) فإن المحجبات لا يحق لهن العلاج أو الإسعاف، فضلاً عن التعليم والتوظف والنيابة عن الشعب فى مجلس النواب! وهو ما جعل الحكومة التركية تمنع منعاً باتًّا وجود أية امرأة محجبة فى أى قطاع من قطاعات الدولة!

المفارقة أن وزير الصحة التركى «عثمان دورموس» فى حكومة غيجيفيت العلمانية، حين أمر بإجراء تحقيق عاجل فى وفاة السيدة «ميدين بيرشان»، لامتصاص غضب أصحاب الضمير فى العالم؛ قال عميد كلية الطب بالجامعة التركية المشرفة على المستشفى الذى رفض علاج السيد المريضة وإسعافها: إن المستشفى لم يرفض علاج السيدة، بل طلب من الأسرة تغيير الصورة الموجودة فى البطاقة الصحية للمريضة، لأنها ترتدى الحجاب فى الصورة ولا يمكن التأكد من شخصيتها، وأضاف العميد: إن هناك العديد من عمليات انتحال الشخصيات تتم عن طريق الحجاب (!!) بالطبع فإن أقوال العميد لم تلق قبولاً أو إقناعاً من الصحافة التركية أو الشعب التركى المسلم.

هكذا صار الحجاب ذريعة للقتل عند العلمانيين، ودليلاً عن التخلف والرجعية عند العلمانيين، وقضية يجب الاحتشاد لمحاربتها عند خصوم الإسلام!

سألت نفسي: لو أن يهودياً يرتدى الطاقية اليهودية المعروفة، أو راهبة مسيحية تغطى رأسها وجسدها تمامًا، وقف أو وقفت على باب المستشفى التركى المذكور التابع لكلية الطب فى الجامعة التركية؛ هل كان عميد الكلية أو أى مسئول آخر من المستشفى يجرؤ على رفض دخول اليهودى أو الراهبة للعلاج أو الإسعاف؟ بل أقول : هل كان يجرؤ على مجرد التفكير فى الرفض؟ الإجابة معروفة بالطبع، لأن اليهودى أو المسيحى أكبر من أن يمنع من دخول المستشفى، والذى يفكر فى المنع يعرف مصيره الأسود الذى ينتظره من كل الجهات الإدارية والسياسية والمنظمات الدولية والميديا الصليبية والصهيونية.. مهما بلغ منصبه، ومهما كان مستواه، وأيًّا كانت حصانته!

إنه عصر الهوان بالنسبة للمسلمين، وعصر الإذلال بالنسبة لأتباع الإسلام! مطلوب منهم أن يغيروا إسلامهم ليكونوا متحضرين وحداثيين، ومطلوب منهم ألا يتحدثوا عن شريعتهم أو يطبقوها وإلا عدوا متخلفين ورجعيين وظلاميين وإرهابيين، ومطلوب منهم أن يتخلوا عن كل مظهر من مظاهر الإسلام، ولو كان ارتداء الحجاب أبسط مظاهر التعبير عن الانتماء إلى ديانة الإسلام. فالحجاب كما يقول العلمانيون المخلصون للغرب الصليبى الاستعمارى نشأ فى ظروف سياسية جعلت الجماعات الدينية (!!) تفرضه بالقوة على النساء والفتيات فى المدارس والجامعات والبيوت ولم تستطع النساء والفتيات المقاومة!

لو قال المفتى مثلاً : إن الحجاب واجب دينى ثابت بالكتاب والسنة؛ قال له المخلصون للغرب الصليبى الاستعمارى: كلا يا حضرة المفتى المثقف، إن الخمار له

معانى أخرى فى «لسان العرب» و«القاموس المحيط»، وعليك ألا تفرض الحجاب على المسلمين، لأن الحجاب لا يصنع العفة، واستشهدوا على ذلك بقصص ألف ليلة وليلة وحكاية الصبية المليحة التى خانت الجنى الذى وضعها فى قمقم مع سبعين وخمسائة رجل.. وهكذا يصلون إلى نتيجة تقول بأن العفة ليست فى الملابس ولكنها فى الخلق والضمير، والعفة لا تتم بالقهر أو البتر أو التغطية، وإنما تكون بالتربية والتعليم والتهذيب، فإذا كانت العفة هى الغاية فالأعمال بالنيات والباطن أولى من الظاهر بالاهتمام !

وإذا كان القوم مشغولون إلى هذا الحد بتعرية المرأة المسلمة، والتركيز على الباطن، فهل يقدرون على انتقاد زى الراهبات المسيحيات؟ والقول لهن: إن الباطن أهم من الظاهر؟ ولماذا لم يسألوا أنفسهم مرة: لماذا تغطى السيدات الشهيرات فى العالم رءوسهن عند مقابلة بابا الفاتيكان- وبعضهن من الحاسرات فى بلاد المسلمين؟

ثم إذا كان الأمر يتعلق بالباطن دون الظاهر؛ فلماذا لا يمضى السادة المخلصون للغرب الصليبى مع نسائهم عرايا فى الشوارع، ويتعاملون مع الناس فى كل مكان وهم عرايا؟؟ أليس الباطن أهم من الظاهر؟

تمنيت من هؤلاء أن يعلنوا عن تبعيتهم للغرب الصليبى الاستعمارى بصراحة، وأن يقولوا- سواء كانوا فى تركيا أو مصر أو أى مكان إسلامى آخر: نحن مكلفون باستئصال الإسلام ومحاربته فى كل مظاهره، ولو كانت ظاهرة الحجاب التى تكفلها القوانين الدولية والدساتير الوطنية ومنطق الحرية الإنسانى. لذا فنحن العلمانيين لا نجد غضاضة فى قتل السيدة المريضة «ميدين بيرشان» لأن صورتها فى البطاقة الصحية كانت بالحجاب، ولأن قسم «أبقراط» الطبى يمنع علاج المحجبات، ولأن

السيد الصليبى الاستعمارى أمرنا بذلك؟!

فى اعتقادى أن معركة الحجاب لا علاقة لها بالحلال والحرام، بقدر ما لها علاقة واضحة وصارخة بالصراع بين الإسلام والغرب الصليبى الاستعمارى؛ الذى يستخدم كل ما يمكنه من وسائل لاستئصال الإسلام، ومن بينها بعض الأقلام والرموز فى أرض المسلمين.. وويل للأمة الإسلامية من بعض المنتسبين إليها، الموالين لأعدائها!

■ ■ ■

الحجاب .. والعقاب !

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب]، والآية الكريمة تشير إلى ضرورة ستر المرأة لجسمها، حتى لا تتعرض للأذى من جانب الرجال الطامعين، والذين تتحرك شهوتهم تجاه المرأة حين يرون أجزاء من جسمها تثيرهم، وقد تدفعهم دفعاً إلى ملاحقة المرأة وإيذائها، أو اغتصابها كما يشيع فى هذه الأيام داخل المجتمعات الغربية، وبعض المجتمعات الإسلامية المتفرنجة.

وهناك آيات أخرى وردت فى بعض سور القرآن الكريم تحض على ما يمكن تسميته بالحجاب المعنوى الذى يحفظ للمرأة كرامتها ويصون حياءها، ويمنع عنها أذى المتطفلين والشاردين (انظر مثلاً على سبيل المثال سورة النور: ٢٦،٢٧،٣٠،٣١،٦٠،٦١).

وهذا يعنى أن الحجاب تشريع إسلامى يقصد إلى حماية المرأة، وبالتالى حماية المجتمع من متاعب ومضاعفات هو فى غنى عنها، بل إن تطبيق هذا التشريع يحقق الخير للمجتمع، ويطهره من عناصر الشر، ويتيح مجالاً ملائماً للوفاق الاجتماعى والتعاون الإنسانى.

بيد أن الأعاصير الغربية فى اكتساحها للمجتمعات الإسلامية تصر على تغريب المرأة المسلمة، ورفع حجابها، بل وتعريتها على الشواطئ وأفلام السينما ومسلسلات

التلفزيون وما يسمى بمسابقات ملكات الجمال المحلية والدولية، ومباريات الرياضة، ومسابقات السباحة...إلخ، لأن ذلك من خلال المفهوم الغربى الصليبى هو الطريق إلى التحرر والتقدم.

لم يتوقف الأمر عند حدود الدعوة عبر وسائط الإعلام والكتب والنشرات، ولكنه امتد فى بعض المجتمعات الإسلامية إلى وسائل تشريعية قاهرة تفرض على المرأة ألا تغطى رأسها فى المؤسسات الحكومية والإدارات التنفيذية، والجامعات والمدارس الثانوية، ولم يكتف المشرعون أو المنفذون فى هذه المجتمعات بالوقوف عن هذه الأماكن، بل امتدت تشريعاتهم وقراراتهم بعدم ارتداء غطاء الرأس أو الحجاب، أو الملابس الطويلة على الشواطئ أو المصايف!

عقوبة الحجاب متنوعة تتمثل فى الفصل من العمل والتعليم، فضلاً عن العقوبات الإدارية الأخرى التى يشمل الحرمان السياسى من تولى المناصب الرفيعة وعضوية المجالس النيابية وغيرها.

لعل أوضح الأمثلة على ذلك ما جرى مؤخراً فى تركيًا. وتركيا ليست دولة متعددة الديانات كما يزعم البعض، ولكنها دولة مسلمة، ويمثل عدد المسلمين فيها ٩٩٪ من عدد السكان، وربما يزيدون عن ذلك، إذ لا يتجاوز عدد النصارى واليهود بين سكانها بضع مئات من الألوف يمثلون أقل من ١٪ من مجموع الدولة.

فى عام مضى فازت المهندسة «مروة خفاجى» بعضوية البرلمان التركى (قبل وصول حزب «العدالة والتنمية» إلى الحكم). أى جاءت إلى البرلمان بإرادة شعبية كاسحة، ومع ذلك فإن السلطة العلمانية رفضت وجود امرأة محجبة فى البرلمان التركى، لأن ذلك من منظورهم يخالف التعاليم التى أرساها «مصطفى كمال أتاتورك»، والقاضية بتغريب البلد المسلم، وكانت النتيجة سحب الجنسية التركية

من (مروة خفاجى)، وإخراجها من البرلمان، وجعلها عبرة أمام كل امرأة مسلمة تتمسك بحجابها !

أضف إلى ما سبق، أن البرلمان التركى قرر من خلال لجنته الدستورية منع السيدات المحجبات من دخول البرلمان- مجرد الدخول- فضلاً عن العمل داخله أو الانضمام إلى عضويته.

لقد ثارت الاحتجاجات ونظمت المسيرات الشعبية المتواصلة مؤخراً فى أرجاء تركيا، ضد منع الطالبات المحجبات والطلاب الملتحين من مواصلة الدراسة بالجامعات، ومع ذلك تصر الأحزاب العلمانية الحاكمة على منع الطالبات المحجبات والطلاب الملتحين من الدراسة وأداء الامتحانات، لقد رفض وزير التعليم التركى ورؤساء الجامعات إجراء الامتحانات النهائية للطالبات المحجبات هذا العام، وتجرى الآن تحقيقات مع عدد من رؤساء الجامعات الذين سمحوا للطالبات المحجبات بدخول الجامعات، ويستند وزير التعليم التركى إلى قانون تم إصداره فى عهد حكومة عسكرية سابقة يمنع ارتداء الحجاب فى جميع المؤسسات الحكومية بما فى ذلك المدارس والجامعات.

إن السلطات العلمانية تسمح للطالبات المتفرنجات بدخول الجامعة وهن يرتدين ملابس قصيرة وخليعة، ولا تتحرك ضدهن، بوصف ذلك حقًّا من حقوق الإنسان... ولكن عندما تتحجب الطالبة، فإنها تمنع من الدراسة.. أليس ذلك غريباً وعجيباً ؟

بالطبع هناك تساؤلات عن سر الحملة ضد الحجاب فى تركيا.. والمسألة ببساطة أن السلطة العلمانية تريد اللحاق بركب الاتحاد الأوربى، وأعضاء هذا الاتحاد يشترطون أن تلغى تركيا كل أثر أو رمز من رموز الإسلام على أرضها حتى يمكن

الرضاء عنها وإدخالها فى زمرة الأوروبيين، وأعتقد أن الاتحاد الأوربى لن يرضى عن تركيا مهما فعلت، ولن يدخلها الجنة الصليبية مهما بذلت، وأنه فى أعماقه ما زال مؤمنًا بربه ونبيهﷺ، وقيم الإسلام العظيمة، يدل على ذلك شعبية الأحزاب الإسلامية، ونمو ظاهرة الحجاب بين الفتيات الشابات فلم يعد الحجاب قاصراً على بعض السيدات العجائز، فضلاً عن ازدحام المساجد بالمصلين، والرغبة العارمة فى الرجوع إلى الأصول الإسلامية والتعرف عليها.

وإذا كانت تركيا تمثل أنموذجاً صارخاً لقمع الحجاب بالتشريعات والقوانين والقرارات، فإن دولاً إسلامية أخرى تفخر بأنها منعت الحجاب من خلال الحكم العسكرى المتسلط وأوامره الشفوية، وقد كتب بعض العلمانيين يبدى سعادته بأنه زار بعض الجامعات، فلم ير حجاباً على رأس طالبة، مما يعنى عدم وجود تطرف فى هذا البلد المسلم !

ومن الطريف أن بعض الدول الأوروبية تمنع الحجاب الإسلامى فى مدارسها، ويلجأ أولياء أمور الطالبات المسلمات إلى القضاء، فينصفهم القضاء، ويقرر أن الحجاب مسألة شخصية وحق من حقوق الإنسان، ولكن بعض الدول الإسلامية لا تسمح لأحد أن يعترض على منع الحجاب!!

إن دولاً إسلامية عديدة ترفض أن تظهر قارئة محجبة للأخبار على شاشة تلفزتها، وترفض أن تكون هناك بطلات محجبات للأفلام والمسلسلات التلفزيونية، فى الوقت الذى يذيعون فيه أفلاماً ومسلسلات أجنبية بطلاتها من الراهبات اللاتى يرتدين مسوح الرهبان، ولا يجدون فى ذلك حرجاً.. أى حرج !

لقد أصدر بعض وزراء التربية والتعليم فى بلاد عربية إسلامية قرارات بمنع الحجاب فى المدارس، وجعلوا من ذلك قضية أساسية، فى الوقت الذى ينهار فيه

مستوى التعليم، ويتدنى مستوى الخريجين، وتلجأ الأسر وأولياء الأمور إلى ما يسمى اصطلاحاً بالتعليم الموازى، أى الدروس الخصوصية التى تثقل كاهلهم بمزيد من الأعباء والالتزامات المادية.. ولكن ذلك لا يعنى السادة الوزراء المشغولين باستئصال الإسلام !

لا شك أن الحجاب رمز من رموز الإسلام، وفارق بين المرأة المسلمة الملتزمة، وغيرها، ولأن الغرب الصليبى يؤمن فى أعماقه أن القوة الحقيقة التى تقف فى طريق أطماعه التوسعية ونهبه لموارد الشعوب، هو الإسلام، فهو حريص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على إقصاء الإسلام، بل استئصاله، وذلك من خلال الطبقة المثقفة الموالية له، أو بعض المسئولين الذين يرون أن مصالحهم مرتبطة بالولاء لثقافته وقيمه.

لقد نجح الاستعمار الغربى على مدى قرن من الزمان تقريباً فى تغريب المرأة المسلمين عن طريق خدامه فى البلاد الإسلامية، وصارت الأسرة المسلمة فى كثير من الأماكن تحذو حذو الأسرة الغربية الصليبية، حتى كانت هزيمة العرب والمسلمين عام ١٩٦٧م، وكان التغريب قد بلغ أوجه، فإذا الموجة تتراجع، وإذا الأصالة تتقدم من جديد، وتقدم نموذجاً للمرأة المسلمة الملتزمة، استجابة لنداء الإسلام، الذى هو فى حقيقة الأمر نداء الفطرة الإنسانية الصحيحة والصادقة والسليمة.

بالطبع، فإن الغرب الصليبى لن يسلم بعودة المرأة المسلمة إلى فطرتها، ولكنه سيواصل شن غاراته ضدها، بطريق مباشر وغير مباشر، وستعانى المرأة المسلمة هنا وهناك من عقوبات ظالمة، ولكنها ستنتصر بإذنه تعالى، وفقًا لموعدته سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر].

يعقوبيان : منطق الفن .. ومنطق الأمن !

أؤكد أن فيلم عمارة «يعقوبيان» حقق هدفين أساسيين:

أولهما : تقديم نفسه إلى العالم الغربى الاستعمارى بوصفه معبراً عن قضايا الانحلال والشذوذ الجنسى فى عالم عربى إسلامى يوصف فى أدبيات الغرب الاستعمارى بالعالم المغلق المعادى للحرية والمثلية، وهذا التقديم يؤهل الفيلم لدخول المهرجانات الأوروبية ومن ثم الحصول على جوائزها.

الهدف الآخر : يتمثل فى الوفاء للمنطق الأمنى، الذى يتبناه مؤلف الفيلم على مدى عقدين من الزمان، تجاه الإسلام والمسلمين. فمؤلف الفيلم – وليس الرواية- يحرص دائماً على أن يكون الإسلام فى حالة عداء مع الحياة والإنسانية، والمسلم صورة بشرية مشوهة وفصامية، تعشق النساء وتشتهى الدم وتستحل أموال الآخر، وترفض التعايش، وتحرص على اللحية والجلباب الأبيض والغترة البيضاء.. وإذا كان مؤلف الفيلم قد حاول أن يعكس حالة من العلة والمعلول بين التطرف وأسبابه تنتهى إلى خسارة المتدين ورجل الأمن جميعاً، فتفسير ذلك سهل للغاية، يرجع إلى إهمال المؤسسة للمؤلف مؤخراً بعد انتهاء مهمته !

الفيلم صفقة تجارية، توفر لها ضجيج إعلامى صاخب، جعل حركة الشباك تزداد كثافة وثراء، وخاصة بعد أن تم استدراج بعض الأصوات لمهاجمة الفيلم على المستوى الوزارى أو النيابى، وراح الموالون للشركة التجارية يستفيدون من هذه الأصوات، للعزف على نغمة حرية الإبداع، وحرية الفن، والظلامية المعادية للفن والإبداع !

هناك أفلام كثيرة عالجت قضايا الفساد السياسى والاقتصادى والاجتماعى، وتحدثت عن وزراء ونواب ومسئولين، وتكلمت عن فضائح وانحرافات واختلاسات ورشاوى وانتهاكات واتساع ذمم.. ولكن ذكاء التجار الذين أنتجوا الفيلم كان بغير حدود، حيث حققوا إرضاء الغرب والمؤسسة معًا، وأتاحوا للمجتمع الإعلامى وأجهزة الدعاية فرصة لتناول موضوع يجلب لهم المزيد من الثروة.

لعل الرواية فى أصلها الأدبى كانت أقرب إلى منطق الفن، وكانت تسعى إلى تقديم صورة أقرب إلى واقع المجتمع وطبيعته.. ولكن تجار الفيلم آثروا الطريق السهل الذى يجذب الصغار قبل الكبار، وهو تقديم صورة «مقززة»- بمعنى الكلمة- للواقع الاجتماعى من خلال الإغراق غير الفنى فى مشاهد الجنس والشذوذ الجنسى، بطريقة مباشرة، مع كثير من الفجاجة التى تؤدى إلى «التقزز».. وما بالك بفيلم يصور على مساحة تقرب من ثلث وقته مشاهد الشذوذ بتفاصيلها الغريبة والمقززة؟

إن الادعاء العريض الذى يكرره البعض بوجود هذه النماذج فى المجتمع، لا ينفى أن المجتمع المصرى المسلم عقيدة وثقافة، يكتظ بالملايين التى تكدح وتعمل وتجد، وتؤمن بالحلال، وترفض الحرام، وتعبد ربها وتصبر على الاستبداد وتكره الفساد وتصلى وتصوم وتحج وتدفع الزكاة، وتعشق الطهارة فى العبادة والسلوك.. إنهم مبثوثون فى كل مكان ومجال، فى الجامعة والمدرسة، والحقل والمصنع، والمحكمة والمكتب، فى القرية والمدينة... ومن الواقعية أن يظهر من يمثلهم ويدل عليهم ويشير إليهم..

بيد أن تجار السينما بصفة عامة، تعودوا على الاستخفاف بعقلية الناس، ومن

خلال مكرهم الخبيث يفتعلون المعارك الوهمية، التى تشد الانتباه إلى أعمالهم الرديئة المسفة.. ويمارسون هذا المكر الخبيث منذ التفكير أو البدء فى تنفيذ إنتاجهم حتى مراحل عرضه الأخيرة، من خلال الحديث عن مشكلات بين الممثلين والممثلات أو كاتب الفيلم والمخرج، أو زواج البطل أو طلاق البطلة، أو نشوب خناقة بين الممثلة والراقصة... ونحو ذلك.

لقد صار الإلحاح على العلاقات غير المشروعة بين الرجل والمرأة، والصفقات الحرام، والاتجار بالمخدرات السمة العامة لأفلامنا المصرية، وصار رواد السينما ومشاهدوها يدركون مقدماً أحداث الفيلم ويعرفون نتيجته.. لأن التوليفة المعتادة تكررت كثيراً، وأصبحت لا تخفى على هواة السينما.. والجديد الذى أضافه فيلم عمارة يعقوبيان هو الشذوذ الجنسى الذى قدمه بوصفه ظاهرة اجتماعية، وهو بأى مقياس ليس ظاهرة، وإن كان يمثل حالات فردية تشمل الوزير والخفير، تظل محدودة، واستثناء نادراً يرفضه المجتمع ولا يتعايش معه، وصاحب الحالة منبوذ ومكروه سواء كان رئيس تحرير صحيفة، أو من حثالة الشوارع! هناك مجتمعات يشيع فيها الشذوذ ويمثل ظاهرة، ولكن مصر تبقى أكثر نظافة فى بلدان العالم قاطبة.. ولا ندرى ما الهدف من وراء الترويج لهذه الآفة الخطيرة من خلال الفيلم، أو من خلال التغاضى عن سلوكيات بعض الوافدين إلى مصر؟

نحن نؤمن بكشف الفساد السلوكى والخلقى، قبل الفساد السياسى والاقتصادى والاجتماعى بل والثقافى وهو أخطر هذه الأنواع جميعاً.. ولكننا نؤمن أيضا بتقديم النماذج المضيئة التى تقدم القدوة والأسوة من خلال عقيدة راسخة وثقافة أصيلة.. أما تجار السينما الذين يضعون أعينهم على الغرب من ناحية، والنظام من ناحية أخرى، فسوف يخسرون على المدى الطويل.

التليفزيون ومعزة بكار

معزة «بكار» بطلة مسلسل الأطفال الشهير، أبكت طفلتى «فاطمة» عندما سرقها اللصوص، ثم احتجزوا «بكار» إلى جانبها. حاولت أن أقنع «فاطمة» أن المسألة تمثيل، وأن معزة بكار ستنجو من أيدى اللصوص ولن يصيبها أذى، حتى هدأت واطمأنت.

معزة «بكار» تؤكد على التأثير العميق للتلفزيون فى قطاعات الشعب المختلفة بدءاً من الصغار إلى الكبار. وهو ما يعنى أن المسئول عن التلفزيون ينبغى أن يدرك خطورة هذا الجهاز وتأثيره، سلباً وإيجاباً، بالنسبة لمختلف الشرائح الاجتماعية.

وإذا كانت مصر – أقصد الحكومة- تملك تسع قنوات تلفزيونية تعمل معظم الليل والنهار، بالإضافة إلى القنوات المتخصصة ذات الاشتراك أو المقابل المادى، فإن مصر يمكن أن تسمى بحق دولة تلفزيونية، ولأنها دولة تلفزيونية فإن دورها يجب أن يتكافأ مع آمال المجتمع وطموحاته، وإلا فإنها حينئذ ستصيب المصريين بأمراض شتى يصعب التخلص منها، وأولها تسطيح الوعى، وليس آخرها تخريب الوجدان.

وإذا كانت «معزة بكار» تمثل غاية نبيلة بالنسبة للطفل المصرى مثلاً، فإن برامج أخرى عديدة وكثيرة تؤكد على السطحية، والاستهانة بعقول الناس، وتتويج عناصر هامشية نجوماً للمجتمع، مما يضيع الأثر الإيجابى لبكار ومعزته «رشيدة»

التى تحبها «فاطمة»!

ماذا يعنى أن يكون الحوار الصريح مع طبقة رئيسية هى ما يعرف بالفنانين؟ ولاعبى كرة القدم؟ ألم يعد فى مصر من يصلح للتحاور مع التلفزيون غير الفنانين واللاعبين؟ ثم ما هى طبيعة الحوار الذى يجريه التلفزيون مع هؤلاء الذين لا يستفيد منهم المجتمع إلا قليلا، ويستفيدون من المجتمع كثيراً بل أكثر ما يستحقون؟ ما معنى الحديث عن الزواج والطلاق وعدد مرات كل منهما بالنسبة للفنان واللاعب فى مجتمع لا يجد شبابه فرصة للزواج والاستقرار إلا بعد أن يفنى زهرة عمره بحثاً عن سكن وأثاث ومهر وخلافه؟ ثم ما معنى أن يقدم التلفزيون امرأة تتفاخر بأنها لم تدخل المطبخ، أو الأدهى أنها لا تطيع زوجها، وتخرج بغير إذنه، بل تتحداه أمام الناس، وفى حفل يموج بخاصة المجتمع؟ وما معنى أن تتحدث امرأة فى حوارها التلفزيونى عن قضية الآداب التى اتهمت فيها أمام بناتنا الذين تحدثهم عن العفة والشرف والعرض، وتظهر فى صورة أقل ما توصف به أنها غير لائقة؟ كيف نسمح من خلال هذه الحوارات غير المسئولة أن نهدم الكيان الأسرى بتقديم النماذج التى لا تتفق ولا تتواءم مع أخلاق الأمة وقيمها وتصوراتها؟

يقال: إن الترفيه عن الناس مطلوب. وهذا حق، ولكن أى ترفيه يقدمه التلفزيون من خلال طبقة تتصور نفسها فوق القانون وفوق الناس؟ ذكرت الصحف المصرية أن أحدهم عاد من شهر العسل الذى قضاه خارج مصر، فاستوقفته الجمارك بالمطار ليدفع حق الدولة فثار وهاج واستخدم «المحمول» ليخاطب مسئولين كباراً كى لا يدفع، ولكن مسئولى الجمارك الشجعان طبقوا القانون ولم يهتزوا من هذا ولا ذاك.

وذكرت الصحف أن أحدهم خرج مسرعاً بسيارته المرسيدس متجاوزاً السرعة المعقولة، فنبهه سائق سيارة نقل إلى خطورة ما يفعله، فما كان من «فخامة» الفنان إلا أن نزل ومعه «البودى جارد»- حراسه بالعربي- و«هات يا ضرب» فى السائق الغلبان حتى تم «عجنه» لأنه تجرأ على صاحب «العيون الزرق»!

وتحدثت الصحف عن «المطرب» الشاب الذى تهرب من الضرائب لسنوات عديدة، وحكمت عليه المحكمة بدفع مبالغ كبيرة لا يعرفها أمثالنا من الفقراء الذين تخصم الضرائب من مرتباتهم الضئيلة ومن مكافآتهم ومن كل عمل يقومون به ما لا يقل عن عشرين بالمائة (من المنبع كما يقولون؟).

إن المجتمع يضم أنواعاً أخرى من البشر غير هؤلاء الفنانين ولاعبى الكرة.. يضم العمال والفلاحين والمعلمين والمهندسين والأطباء والعلماء وأساتذة الجامعات والكتاب وعمال النظافة وجامعى القمامة والحرفيين.. وغيرهم. فأين مكان هؤلاء فى التلفزيون؟

ثم ما معنى أن يكون الإفطار فى شهر رمضان المبارك على وجوه الفنانين ولاعبى الكرة دون سواهم من عباد الله باستثناء بكار ومعزته الغالية؟

إن محطات الإذاعة، مع أنها تحتفى بالفنانين ولاعبى الكرة، إلا أنها تحاول التنويع بشخصيات مغايرة، وتقديم برامج معقولة نسبيًّا، ومسلسلات هادفة فى أغلبها. فلماذا لا يقلدها التلفزيون؟ ثم لماذا لا يسعى التلفزيون إلى التوقف عن البث وإعطاء الفرصة لمحطات الإذاعة فترة الإفطار حتى الانتهاء من صلاة التراويح، وبعدها يبث برامجه التى تطفح بالفنانين واللاعبين؟

تعبنا من الحديث عن ضرورة أن يكون التلفزيون أداة رقى فكرى وتثقيف عميق، وترفيه نظيف، وتعبنا من الحديث عن المقارنة بين التلفزيون المصرى

وتلفزيونات الدول الشقيقة التى أنشئت حديثاً وحققت نجاحاً كبيراً ومرموقاً.. ولكن أهل التلفزيون لا يسمعون إلا لأنفسهم، ولا يرون فيها يفعلون إلا أنهم الأحسن، وأنهم المسيطرون «إعلاميًّا» على الساحة العربية.. وهو غير صحيح، لأن غيرهم هو الأحسن، وغيرهم هو المسيطر «إعلاميًّا» وليس «دعائياً»، بدليل انتشار الأطباق اللاقطة فوق سطوح البيوت المصرية وشرفاتها. والمؤكد أن أصحاب هذه الأطباق يشاهدون بواسطتها العبقرية المصرية وهى تعمل فى الخارج كما ينبغى، وتقدم البرامج المفيدة، والدراما الممتعة، والنشرات الحية. شكراً لمعزة بكار، وفاطمة التى تحبها، فقد تحرك قلمى من أجلهما ليكتب عن التلفزيون أو الدولة التلفزيونية.

■ ■ ■

الصحافة : خضراء . وصفراء وفاقع لونها !

رب ضارة نافعة! هذا ما أثبتته حادثة الجريدة الصفراء التى فجرت قنابل فكرية وسياسية ما زالت حديث المجتمع حتى الآن. وما أظن أمر الراهب «المشلوح» من الدير المحرق، إلا مسألة عادية متوقعة يمكن أن تتكرر فى أى مكان وأى زمان، لدى المسلمين وغيرهم، فالبشر لهم غرائزهم الجامحة، ولهم مقاوماتهم الرادعة، وسبحان من ألهم النفس البشرية «فجورها وتقواها». بيد أن نشر حادثة الراهب «المشلوح» ومضاعفاتها، طرحت مرة أخرى وبقوة قضية حرية التعبير وأبعادها، وطرق معالجاتها، وموقف السلطة من خلال سؤال حاد وملح: لماذا تكيل السلطة بمكيالين فى هذه المسألة؟ إن السلطة تمنح الترخيص للصحف الصفراء بسرعة الصاروخ، ثم يذهب مسئولون كبار لافتتاح ما يسمى بالصروح الإعلامية الكبرى لهذه الصحف، وهى تعلم جيداً أن هذه الصروح أقيمت بأموال حرام وطرق حرام، وثقافة حرام، صنعتها الصحف الصفراء على مرأى ومسمع من السلطة ورجالها طوال سنوات عديدة.. وفى الوقت ذاته، فإن السلطة تسوف وتماطل مثلاً فى منح ترخيص لمجلة أدبية جادة تصدر كل شهر- أو حسب التساهيل- وتوزع نسخاً محدودة، تقتصر قراءتها على نفر محدود ممن يسمونهم مثقفين أو متخصصين، وأقرب الأمثلة على ذلك ما جرى مع الراحل «شكرى عياد» الأستاذ الجامعى والناقد المعروف. لقد ظل يعمل ويكدح سنوات طويلة قبل رحيله ليصدر مجلة ثقافية، بالتعاون مع مجموعة المثقفين، وبعد أن قام بالإجراءات الإدارية والتنفيذية

جميعهـا، وأصـدر عـدداً تجريبيًّـا، كانـت النتيجـة مؤسـفة، وأخفـق مسـعى الرجـل، ووقفت السلطات ضد إصدار المجلة، مما كان له أثره على الرجل الـذى قضى حياتـه خادماً للعلم وباحثاً عنه، فمرض، فمات شهيداً للبحث عن ترخيص مجلة ثقافية!

تجار الصحف الصفراء فى القاهرة والأقـاليم يكتسبون المشروعية بـما يصـدرون ويكتبون، ويحققون الثروات بالابتزاز والفضائح ومخاطبة الغرائز، وأصحاب الفكر الراقى والثقافة الرفيعـة يموتـون قهـراً ويقضـون كمـداً، لأنهـم يسـعون إلى تحريـك العقول لا تنشيط الأعضاء التناسلية!

وهكـذا فـإن السـلطات المصريـة تقـع فى خطـأ جسـيم حـين تكيـل بمكيـالين، ويشـايعها فى موقفهـا نفـر مـن المثقفـين (المسـتنيرين!)، يـرون مضـمون الصـحافة الصفراء إبداعاً، وحرية تعبير يجب أن تمتد بلا سـدود ولا قيـود، فى الوقـت الـذى لا يبالون فيه بمضاعفات الثقافة الرخيصة، والفكر الهابط، ويرون فيمن يتصـدى لهـذا الفكـر أو تلـك الثقافـة محـاكم تفتـيش، ومكارثيـة، وظلاميـة، وانغلاقـاً، وتحجـراً، وجموداً.. إلى آخـر قائمـة الاتهامـات الجـاهزة، والمعروفـة، فى حـين أن المجتمـع - أى مجتمع - له قيمه وظروفه التى تجعل للحرية سقفاً لا يجوز تجاوزه أو تخطيه، وإلا فـإن القانون يجب أن يعمل عندئذ، ويأخذ زمام المبادرة.

لقد تركت السلطة الباب مفتوحـاً عـلى مصراعيه أمـام الصـحف الرخيصـة، تفعـل بالمجتمع ما تشاء، تلوثه، وتخوض فى الأعـراض، وتسـتبيح الحرمـات، وتبـدأ عناوينهـا الرئيسة دائماً: «عمايل فلان» و«عمايل فلانة» حتى صار المجتمع على صفحاتها قطيعاً من أزيار النساء والساقطات، ويمكن لمن يتتبع ما تنشره هذه الصحف أن يراها وقد وقعت فى التنـاقض الـذى يؤكـد أن بناءهـا المهنـى والفكـرى هـش، ويقـوم عـلى «الفبركـة» والكذب.. وما بالك بمجتمع تصفه الصحف الرخيصة بأنه تحركه أعضاؤه التناسـلية،

وفى الوقت ذاته تصفه بالعجز الجنسى وهيمنة «الفياجرا» على تفكيره؟ لقد تمادت هذه الصحف فى غيها حتى عرضت البلاد لأحداث ومضاعفات كانت فى غنى عنها، خاصة فى وقت حرج تلح فيه أزمات أخطر فى الاقتصاد والمجتمع.

هناك وجه شبه، بين اهتمام السلطة بما يسمى الأمن السياسى على حساب الأمن الجنائى، حتى ضج الناس من البلطجة وتجلياتها المتمثلة فى أخذ الناس حقوقهم بأيديهم، وبين التضييق على الصحافة والصحفيين فى إصدار الصحف الجادة، وترك الحبل على الغارب للصحف الرخيصة؛ تتناول الأعراض والحرمات، وتمارس الكذب والابتزاز، حتى تحولت إلى كيان سرطانى يصعب استئصاله، لأنه يحتمى بصور المسئولين ومدحه لهم، والإشارة دائماً إلى أنه قريب منهم ومرتبط بهم !

إن «تغييب» جريدة «الشعب» مثلاً، فى الوقت الذى يتم فيه السماح لجرائد غرف النوم والابتزاز بالانتشار والوجود الفعال؛ لهو أمر يثير الكثير من الحيرة، ويسىء إلى سمعة النظام قبل أى جهة أخرى، وإذا كانت جريدة رخيصة قد عصفت باستقرار البلاد نتيجة لكيل السلطة بمكيالين، فإن الواجب يحتم على من يعنيهم الأمر من المسئولين والمثقفين، مراجعة الموقف القائم، مع الدعوة إلى بناء أساس سليم وقوى تقوم عليه حرية التعبير، سواء فى جانب إصدار الصحف والمجلات، أو فى جانب الممارسة التطبيقية واستخدام الكلمة حتى لا يكون البناء الاجتماعى معرضاً للعواصف والأعاصير، وقد شهد الوطن أكثر من عاصفة وأكثر من إعصار بسبب اختلال المعايير فى حرية التعبير.

ولا شك أنه قد آن الأوان لتتضافر جهود المخلصين فى هذا الوطن، ليكون عندنا نوع واحد فقط من الصحف له لون واحد فقط، بدلاً من تعدد الصحف الخضراء، والصفراء، وأخرى فاقع لونها!

جنرالات الرعب والهزيمة !

مثقفو الحظيرة مشغولون بإهانة الإسلام وتشويهه ورفضه، من خلال أحاديثهم الملفقة عما يسمى بالدولة الدينية التي سيقيمها الإسلاميون في مصر، لو وصلوا إلى الحكم !

وينسى مثقفو الحظيرة، أن الدولة الدينية كانت في الغرب الصليبي المتوحش؛ حيث كانت الكنيسة تحكم الأمراء والعامة، وتعادي العلم وتحرق العلماء، وتملك حق التبرئة والإدانة من خلال صكوك الغفران والحرمان.. والإسلام ليس فيه كنيسة. فيه مسجد فقط، يجتمع فيه الناس لأداء الصلاة، يتقدمهم شخص بسيط، قد يكون أفقرهم أو أقلهم منزلة، وكل مسلم مسئول عن نفسه، لا أحد يتوسط بينه وبين خالقه.. ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ﴾ [الإسراء].

مثقفو الحظيرة، وبعضهم لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يعطي الزكاة، وبعضهم لا يفيق من الخمر، والبعض الآخر لا يتورع عن اقتراف الفواحش؛ يجدون في أنفسهم الجرأة للفتيا في أمور الإسلام، والحكم على تشريعاته بعدم الصلاحية في عصر الذل والهوان والتبعية للأعداء، مثل ذلك الذي قال : إن حد السرقة يمثل الوحشية البربرية ولا يلائم زماننا، أو ذلك الذي قال : إن الإسلاميين يذبحون الناس، ويستبيحون الأموال والأعراض، على طريقة عادل إمام في أفلامه

عن الإرهاب، التى لا تقوم على منطق من الفن أو الواقع.

مثقفو الحظيرة تحولوا إلى جنرالات، ويشبهون الجنرالات الذين يحكمون البلد، ويرسمون خطاها، ويبثون الرعب فى قلوب الشرفاء، ويقودون الوطن إلى هزيمة محققة: حضاريًّا وعسكريًّا وإنسانيًّا.. هؤلاء الجنرالات الذين يشكلون عصب الدولة البوليسية الفاشية، لم يتوقف وجودهم عند أجهزة الأمن وحدها، والموانئ والمطارات والأحوال المدنية.. وغيرها، ولكنهم تسللوا إلى شرايين المجتمع وجروا فيه مجرى الدم فى الجسم البشرى.

وزير الثقافة له مدير مكتب برتبة جنرال، يفوق فى سلطاته وقدراته ومشيئته أمين المجلس الأعلى للثقافة ورئيس قصور الثقافة ورئيس الأوبرا ورئيس دار الكتب، بل إن هيئة الكتاب المصرية التابعة لوزير الثقافة يقودها جنرال أيضاً، وينافس الوزير فى صلاحياته.

وزير الإعلام، له مساعد برتبة جنرال يقود عصب وزارته وهو اتحاد الإذاعة والتلفزيون، ويتحكم فى جموع الأفراد الذين يشكلون بينان الوزارة.

وزارة التعليم العالى ووزارة التربية ووزارة الأوقاف ووزارة الطيران ووزارة الحكم المحلى، تخضع خضوعاً كاملاً لجنرالات الداخلية، أو وزراؤها أنفسهم جنرالات.

الوزارات الأخرى منسوبة بصلة إلى الجنرالات تبعية أو خضوعاً أو تقديم تقارير أمنية للجنرالات.

معظم المحافظين، يتقدم أسماءهم لقب سيادة اللواء المحافظ، وكثير من رؤساء المدن والأحياء يسبق أسماءهم رتبة سيادة اللواء.

جهاز محو الأمية يقوده لواء، وكثير من رؤساء المصالح ومديرى الهيئات ينتسبون إلى رتبة الجنرال.

الدولة البوليسية الفاشية التى تحكم بالأحكام العرفية طيلة نصف قرن أو يزيد لا تسترعى انتباه مثقفى الحظيرة، ولا تقلق بالهم ، ولا تؤرق ضمائرهم، حتى لو استباحت أمن الشرفاء، واختطفتهم فى جوف الليل من أحضان أبنائهم وصادرت أموالهم، وقدمتهم لمحاكمات عسكرية بعد أن برأهم القضاء المدنى.

لقد جعلت من التجسس على المواطنين ومراقبة هواتفهم ورسائلهم وسيرهم وسلوكهم، أمراً طبيعيًّا، لا يوجب الشكوى، ومن يشكو فعليه أن يخبط دماغه فى أقرب حائط!

المضحك أن الدولة البوليسية الفاشية لم تكتف بالهيمنة على السلطة التنفيذية بل امتدت إلى السلطة التشريعية، وقد لوحظ أن عدداً كبيراً من الجنرالات دخلوا إلى مجلسى الشعب والشورى، ومهمتهم تتركز فى إسكات المعارضة بالعنف اللفظى والمعنوى، حتى وصل الأمر أن يتهم واحد منهم المعارضة الإسلامية المتمثلة فى جماعة الإخوان بأنها وراء «سفاح المعادى»، ولم يخجل من تقصير الجهاز الأمنى فى القبض على هذا السفاح، مع مرور وقت طويل على بدء جرائمه المستمرة! كما لوحظ أن عدداً كبيراً منهم أخذوا يتجهون إلى القضاء الواقف (المحاماة) الذى يمثل الجناح الثانى للسلطة القضائية (القضاء الجالس).. وقد يملك بعضهم القدرة والموهبة فى القيام بواجب المحاماة، ولكن المجتمع يرى أن السلطة البوليسية هى قدرته وموهبته!

إن الدولة البوليسية تبث الرعب فى قلوب المواطنين، وتدفعهم دفعاً إلى الانسحاب من الحياة الاجتماعية، لصالح العزلة والانزواء والانطواء، وما يتبع

ذلك من نفاق ومداهنة للسلطات، وتراضخ أمام إدارتها، والتسليم لها، كى تفعل ما تريد بالمجتمع حاضراً ومستقبلاً.

والدولة البوليسية الفاشية لا يعنيها أمن المواطن بقدر ما يعنيها أمنها الخاص؛ ولذا تنكل بالمعارضة الجادة، وتبث الانقسام فى صفوفها، وتحقق أغراضها عن طريق الترهيب والترغيب، وهو ما يؤدى إلى فساد الحياة السياسية بصفة عامة، والحياة الاجتماعية بصفة خاصة.

وإذا عرفنا أن فساد الحياة السياسية والاجتماعية يعنى فساداً عامًّا فلنا أن نتوقع هزيمة ساحقة للمجتمع فى شتى مجالات الحياة: حضاريًّا وإنسانيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا.

إن الخوف لا ينتج إلا هزيمة، والرعب لا ينتج إلا موتاً، والدولة البوليسية لا تجيد غير صناعة الخوف والرعب والهزيمة والموت.

أين هذا من دولة الإسلام التى تؤمن بالحرية والعدل والشورى والمساواة وترفض التمييز العنصرى والطائفى والطبقى والفئوى والمهنى؟

دولة الإسلام التى تعلى من إنسانية الإنسان، وتحقق له الحرية وتمنحه الأمل، يدلس عليها مثقفو الحظيرة، فينسبونها إلى الدولة الدينية التى صنعتها الكنيسة ويتناسون أن الدولة البوليسية الفاشية، من خلال الرعب والهزيمة، تصنع أجيالاً من العبيد الذين لا يعرفون معنى الإبداع ولا ينهضون للدفاع عن الأوطان.. وتلك هى الخسارة العظمى التى لا يبالى بها هؤلاء.

العبد ولاؤه لسيده.. أما الحر فولاؤه لدينه ووطنه وأمته.. العبد يفعل ما يريد السيد فى مواجهته، وإذا ما أدار ظهره فإن العبد ينكص على عقبيه ويتخلى عن ولائه.. أما الحر فإنه يعمل حبًّا فى خالقه الذى لا يراه ولكنه يحسه، وحبًّا لوطنه

وأمته لأنه مأمور بحبهما الذى هو جزء من محبته لله.

وهذا هو الفارق بيننا وبين أعدائنا.. هم فيما بينهم أحرار، ونحن فيما بيننا عبيد.. بأسهم علينا شديد، وبأسنا عليهم برد وسلام؛ لأن بأسنا بيينا شديد ورهيب وخطير.. هم ينتصرون، ونحن ننهزم.. وتلك سنة الله فى خلقه: الأحرار- أيًّا كانت ملتهم- ينتصرون.. والعبيد - أيًّا كان دينهم- مهزومون، ودولة البوليس الفاشية هى دولة العبيد الذين يعيشون الرعب والهزيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

■ ■ ■

تأبيد الشمولية .. وتحصين البوليسية !

في ظل «الهوجة» التى صنعها خدام النظام البوليسى الفاشى حول «المادة الثانية» من الدستور نسى بعضهم الغرض الحقيقى مما يسمى التعديلات الدستورية.

وهذه «الهوجة» تدل دلالة قاطعة على أن خدام النظام البوليسى الفاشى- من سلالة «هنرى كورييل» واليسار المتأمرك والطائفيين المتعصبين فى الداخل والخارج- يكرهون الإسلام والعرب أشد ما تكون الكراهية، وعلى استعداد لفعل الشيء ونقيضه، طالما هناك من يدفع ومن يكافئ، حتى لو كانت المكافأة رخيصة ومتدنية، مثل عضوية مجلس الشورى، أو الظهور فى برامج النفاق والكذب التى يذيعها تلفزيون النظام.

لقد دل البيان- الذى أصدره مائة من خدام النظام ضد الإسلام والحرية- على ما يتمتع به هؤلاء الخدم من قدرة على الكذب والتدليس ومغازلة من يسمون أنفسهم- توقحاً وخيانة- أصحاب البلد وأحفاد الفراعنة العظام !!

لقد تركوا أخطر ما طرحته التعديلات الدستورية فى مجال استعباد الشعب المصرى وقهره وإذلاله وحكمه بالحديد والنار، واتجهوا لاستئصال الإسلام واللغة العربية من دستور البلاد، وراحوا يشهرون بالرئيس السابق «أنور السادات»، وزعموا أنه وضع المادة الثانية نظير الموافقة على استمرار حكمه للأبد من خلال المادة ٧٧، ومن المفارقات أن هؤلاء الخدام لم يتناولوا المادة٧٦ أو المادة ٧٧ ولم

يتكلموا عنها؛ مما يؤكد أنهم ضالعون فى مؤامرة التوريث أو تأبيد الحكم الاستبدادى الشمولى إلى الأبد.

ومن الواضح لكل ذى عينين أن دعاوى الشيوعيين والعلمانيين عن الحرية والعدالة الاجتماعية وحقوق الكادحين قد سقطت على مذبح «الخدامة» للنظام البوليسى الفاشى، وعطاياه التى لا تنكر، ولا يستطيع أن يخفيها أحد، وهنا نحن نراهم يحركون أبواق الدولة للإجهاز على الإسلام الذى يمثل من منظورهم خطراً على الأمن القومى!! وظلامية ورجعية وتخلفاً وعودة إلى القرون الوسطى فى أوروبا ودولة دينية تفتش فى ضمائر الناس.

والمضحك فى المسألة أن بعض كتاب المسلسلات والأغانى انضموا إلى الزفة الرخيصة فى حملتهم على الإسلام، ووقفوا إلى جانب كُتَّاب الختان وغشاء البكارة والعادة السرية ومحررى صحافة العوالم والغوازى وغانيات المجتمع فى الحملة على الإسلام وقيمه ومبادئه ومنهجه، وظنوا- مع خدم السلطة البوليسية الفاشية- أن الشعب المصرى يمكن أن يتسامح معهم، ويفرط بسهولة فى دينه وأخلاقه وتراثه إرضاء لهم ولسادتهم، وما دروا أن المصريين منذ فجر التاريخ، لا ينتفضون إلا من أجل الدين والوطن ولقمة العيش، ولكن هيهات أن يدرك ذلك خدام النظام وسدنته والواقفون على أعتابهم.

كنت أتصور أن يكون بيان الـ(مائة) شيوعى وعلمانى متجهًا نحو غاية أكبر وأعظم، وهى إطلاق سراح المظلومين فى سجون النظام والمعتقلين تحت أسوأ الظروف منذ ربع قرن من الزمان، ولا يستجيب النظام البوليسى الفاشى لأحكام القضاء بإطلاق سراحهم وتركهم أحراراً، يمارسون حياتهم الطبيعية وسط أهليهم وذويهم، وكنت أتصور أن يصدر الشيوعيون والعلمانيون بياناً يرفض اللصوصية

العلنية التى تسرق الشعب جهاراً نهاراً فى ظل الاحتكار والقانون، وكنت أتصور أن ينحاز الشيوعيون والعلمانيون إلى الشعب وحريته وحقه فى نظام يعبر عن إرادة أبنائه، ويحقق الحرية ويشيع الأمل، ويسعى لبناء وطن قوى لا تستذله القوى الكبرى ولا الدول الصغرى.

ولكن أنى لهم ذلك، وقد هيمنت عليهم كراهية الإسلام، والجرى وراء الفتات الذى يلقيه إليهم النظام البوليسى الفاشى؟! لقد تركوا التعديلات الدستورية الهادفة إلى تأييد الشمولية وتحصين البوليسية دستوريًّا من خلال المادتين ٨٨، ١٧٩، وراحوا يطالبون باستئصال الإسلام دين الأغلبية الساحقة، وزعموا أن الإسلام ينتقص من حقوق النصارى ويميز بينهم.

ويعلم الله أنهم كذابون ومنافقون؛ لأن الإسلام الذى يكرم الإنسان- أيًّا كان- لا يمكن أن ينتقص حقوق الأقلية أو يميز بينها، ولكن النظام البوليسى الفاشى هو الذى يضطهد الأكثرية ويحاصرها، ويعتقل أبناءها فى جوف الليل ويقدمهم إلى محاكمات عسكرية، ويحرمهم من وظائف القضاء والنيابة والجامعة والصحافة والشرطة والجيش، فضلاً عن المناصب العليا، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك أبداً مع أفراد الأقلية غير المسلمة!!

إن المادة ٨٨ تهدف فى الدستور الحالى إلى منع تزوير الانتخابات والإتيان بأعوان النظام، من خلال الإشراف القضائى على صناديق الانتخابات (قاض لكل صندوق)، ومع أن النظام قام بالتزوير العلنى الغشوم فى الانتخابات التشريعية الأخيرة فقد أفلت من قبضته أكثر من ١٠٠ نائب نجحوا رغماً عنه بفضل الله ثم بتمسك القضاة بالنزاهة والضمير.

لذا فإن النظام حين يعدل المادة ٨٨، ويلغى الإشراف القضائى على كل

صندوق، ويشكل لجنة عامة على هواه وتأتمر بأمره.. فهو يهدف بوضوح سافر إلى التزوير العلنى فى الانتخابات، ليأتى بمن ينافقونه وينفذون إرادته، ويحاربون الإسلام والعروبة جميعاً، ويطيعون الأعداء، ويقننون للتبعية وقبول الذل على أيدى المستعمرين الصليبيين المتوحشين الجدد بقيادة الولايات المتحدة.

ثم إن تزوير الانتخابات المحصن بالدستور وقدرته على تأسيس مجالس نيابية مستأنسة (تعد معينة) يحقق غاية «التوريث» أو «تأبيد الاستبداد» إلى ما شاء الله، وهذا ما يعتم عليه الشيوعيون والعلمانيون أعداء الإسلام والعروبة بلا حياء ولا خجل!!

أما المادة ١٧٩ التى تجعل فى تعديلاتها الجديدة «الأحكام العرفية» دستورية أبداً فهى تعنى أن اليد العليا بحكم الدستور ستكون للبوليسية الفاشية، وأن أحداً لن يستطيع معارضتها أو الوقوف ضدها بالقانون؛ لأنها محصنة بالدستور الذى يعد أبا القوانين!!

إن وجود «حالة الطوارئ»- مع أنه مر عليها نحو نصف قرن من الزمان- يمكن إلغاؤها فى لحظة ما ، وهو أمر وارد أو محتمل، أما قانون «الإرهاب» الذى ستتم صياغته وفقاً لتعديل المادة ١٧٩ فهو يعنى دستورية حالة الطوارئ واستمرارها إلى الأبد، ويمكن لـ «ملازم» تحت التدريب فى البوليس أن يدخل من يشاء- مهما علا مكانه- إلى الزنزانة المظلمة بدعوى الإرهاب أو الاشتباه فى الإرهاب.

وتستطيع السلطة البوليسية الفاشية أن تنتقم من خصومها بسهولة شديدة وبطريقة قانونية جدًّا، وتحاكمهم عسكريًّا- ولو كانوا مدنيين- وتقطع رقابهم أو تلقيهم فى السجون إلى الأبد، دون أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، أو استئناف

الأحكام وكان مضحكاً أن يدلس علينا بعض المنافقين والخدم، حين قالوا: إن هناك اتفاقاً على ٣٢ مادة من بين ٣٤ مادة مطروحة للتعديلات، ونسوا أن المادتين اللتين لم يتفق عليهما الناس هما المادة ٨٨ والمادة ١٧٩ اللتان تؤسسان لتأبيد الحكم الاستبدادى الشمولى، وتحصين بوليسية النظام وفاشيته دستورياً!! هما الهدف الرئيسى للتعديلات الدستورية المطروحة.

ومع ذلك يأتى الشيوعيون والعلمانيون ليوقعوا على بيان يدعو إلى استئصال الإسلام من بلد الإسلام وعقله، ويتجاهلون ما يحمله التعديل الدستورى، من تكريس للعبودية والإذلال والقهر والتبعية، ويقولون: إننا ندافع عن الأقلية!! أرأيتم كذباً وتدليساً ووقاحة أكبر من ذلك!!

هناك شيوعيون محترمون بلا شك، وعلمانيون فضلاء بلا ريب وهؤلاء وأولئك لم يشاركوا فى هذه اللعبة التى لا أجد لها وصفاً غير الخيانة والعمالة.

إن المحترمين والفضلاء عرفوا أن النظام البوليسى الفاشى لا يمكن أن يمنح الشعب حريته، وأن الحدأة لا يمكن أن ترمى «كتاكيت»، وأن الجهاد الحقيقى بالقانون والوسائل السلمية هو الطريق لانتزاع الحرية وبناء الشورى والعدل والمساواة والكرامة الإنسانية.

■ ■ ■

كتب للمؤلف

الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

أولا : كتب صادرة عن دار النشر الدولي بالرياض

١ - النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراته.

٢- تيسير علم المعاني .

٣- الأدب الإسلامي : الفكرة والتطبيق .

٤- محمد- صلى الله عليه وسلم – في الشعر العربي الحديث (طبعة ثانية منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة) .

٥- المدخل إلى البلاغة القرآنية .

٦- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث: دراسة ونصوص (طبعة رابعة).

٧ - تطور النثر العربي في العصر الحديث .

٨- مدرسة البيان في النثر الحديث .

٩- تطور الشعر العربي في العصر الحديث .

ثانيا : كتب صادرة عن دار العلم والإيمان (دسوق – كفر الشيخ) :

١ - الإخوان والنظام : برنامج الحزب المستحيل .

٢ - وجوه عربية وإسلامية .

٣ - الورد والهالوك : شعراء السبعينيات في مصر (طبعة ثالثة) .

٤ - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعة ثالثة) .

٥ - الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعة ثالثة) .

٦ - الرواية الإسلامية المعاصرة (طبعة ثانية).

٧ - في رياض النبوة (٣ أجزاء)

٨ - شعراء وقضايا : قراءة في الشعر العربي الحديث .

ثالثا : إسلاميات :

١ - مسلمون لا نخجل (٤ طبعات).

٢ - حراس العقيدة (٣ طبعات).

٣ - الحرب الصليبية العاشرة.

٤ - العودة إلى الينابيع .

٥ - الصلح الأسود .. والطريق إلى القدس .

٦ - ثورة المساجد .. حجارة من سجيل .

٧ - هتلر الشرق .

٨ - جاهلية صدام وزلزال الخليج .

٧ - أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان) .

٨ - النظام العسكري في الجزائر .

٩ - حفنة سطور .. شهادة إسلامية .

١٠ - الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة .

١١ - الإسلام في مواجهة الاستئصال .

١٢ - تحرير الإسلام .

١٣ - دفاعًا عن الإسلام والحرية .

١٤ - التنوير .. رؤية إسلامية .

١٥ - معركة الحجاب والصراع الحضاري .

١٦ - العصا الغليظة .

١٧ - واسلمي يا مصر.

١٨ - ثقافة التبعية : المنهج . الخصائص . التطبيقات .

رابعا : كتب أدبية ونقدية :

١- الغروب المستحيل (سيرة كاتب) .

٢- رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان) .

٣- الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .

٤- موسم البحث عن هوية : دراسات في الرواية والقصة) .

٥- حوار مع الرواية المعاصرة في مصر وسوريا .

٦- لويس عوض الأسطورة والحقيقة . حوار مع الرواية في مصر وسورية .

٧- الوعي والغيبوبة : دراسات في الرواية المعاصرة .

٨- إنسانية الأدب الإسلامي .

٩- حصيرة الريف الواسعة .

١٠ - أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة .

خامسا : إعلام :

١- الصحافة المهاجرة : رؤية إسلامية .

سادساً: كتب للأطفال :

١- واحد من سبعة .

سابعاً : كتب محققة :

١- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية .

٢- أحسن ما كتبت .

ثامنا - كتب معدة للنشر:

١- التمرد الطائفي في مصر : أبعاده وتجلياته .

٢ - الحداثة العربية : المصطلح والمفهوم (طبعة ثانية) .

٣- الإبادة والمقاومة : الشعب الفلسطيني لا يموت .

٤ - الحكاية كلها معاصرة (دراسات في الرواية) .

٥ - خبز السلطة .. خبز الحرية (الحقل الثقافي في مصر المعاصرة) .

٦ - الحلم والدهشة (قراءة أدبية) .

٧ - العمامة والثقافة : دفاع الإسلام وهجوم العلمانية .

٨ - اللحم الإسلامي المستباح .

٩ - حضرت التبعية .. وغابت الهوية .

١٠ - صالون الشعر والأدب (أعلام وقضايا) .

١١ - انتصار الدم على السيف .

١٢ — سورة الأنفال.

١٣ — نداء الفطرة .

١٤ — عباد الرحمن وعباد السلطان .

١٥ — اخلع إسلامك .. تعش آمنًا ؟!

١٦ — ثقافة تزغيط البط !

١٧ - محرقة غزة .. الشعب الفلسطيني يقاوم !

١٨ — القيم الإسلامية في رسائل النور .

١٩ — كهنة آمون !

٢٠ — المدافعة والمداولة — قراءة في الأفق الثقافي العام .

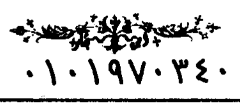
■ ■ ■

فهرس الكتاب

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة



٠١٠١٩٧٠٣٤٠